صورة البطل المسلم
في شعر الحروب الصَّليبيَّة
نور الدِّين محمود أُنموذجاً

إعـــداد
د.محمد بن هادي المباركي
الأستاذ المشارك بقسم الأدب والبلاغة بكلية اللغة العربيَّة
الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة

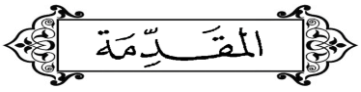

الحمد لله بديع السماوات والأرض، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد خير من نطق بالضَّاد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد :

فإنَّ من الجوانب الَّتي أذكت جذوة الشِّعر في القرن السَّادس الهجري قيام الحروب الصَّليبيَّة، الَّتي استهدفت السيطرة على البلاد الإسلاميَّة، ونزف خيراتها، وطمس هويَّتها، وهو ما بدأه الغزو الصَّليبي الَّذي ابتدأ من سنة ٤٩٢هـ حين احتلَّ بعض المدن الإسلاميَّة من بينها (بيت المقدس) فأشعل ذلك فتيل الحماس في نفوس المسلمين، وهبُّوا يدافعون عن بلدانهم، ومقدَّساتهم الَّتي استولى عليها الغزاة.

وانتفض الشِّعر يطرد عن نفسه عوامل الذُّبول والرُّكود، ليعلن عن موقفه الحازم وصرخته المؤثِّرة في بثِّ عوامل الحماس، والدِّفاع عن بلاد المسلمين، والتَّصدِّي للغزاة، واستنقاذ البلاد الَّتي احتلُّوها.

وقد هيَّأ الله تعالى للمسلمين قادةً مجاهدين مخلصين لدينهم وأُمَّتهم، حملوا على عاتقهم مهمَّة التَّصدِّي للصَّليبيِّين، وإيقاف زحفهم، وإلحاق الهزائم بهم، واسترداد البلاد الإسلاميَّة من أيديهم، وطردهم من بلاد الشَّام. ومن أولئك القادة الأفذاذ نور الدِّين محمود بن عماد الدِّين زنكي، الَّذي اخترته (أُنموذجاً) لدراستي هذه في رسم صورة واضحة للبطل المسلم في تلك الحروب الصَّليبيَّة.

أمَّا المنهج الَّذي سارت عليه هذه الدِّراسة فيقوم على استقراء النُّصوص الشِّعريَّة من الدَّواوين الشِّعريَّة، والمختارات، وكتب التَّاريخ، ودراسة الجوانب الَّتي تجلَّت في موضوع البحث، وعرض موضوعاتها وأفكارها، ورصد أهم الظَّواهر الفنِّيَّة في ذلك الشِّعر.

وقد تكونت خطَّة البحث من مقدِّمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

حيث تضمَّن التَّمهيد الحديث عن **(حقيقة الحروب الصَّليبيَّة)**، والتعريف بـ **(نور الدِّين محمود)**.

وتطرَّق المبحث الأوَّل إلى **(بيان ملامح البطولة في الشِّعر)**.

ويتضمَّن ما يأتي :

أولاً : الشَّجاعة والإقدام.

ثانياً : نصرة الإسلام.

ثالثاً : العدل والإحسان.

واختصَّ المبحث الثَّاني بدراسة **أهمِّ الظَّواهر الفنِّيَّة في الشِّعر الَّذي صوَّر البطولة في شعر الحروب الصَّليبيَّة.**

وتضمَّن ما يأتي :

أولاً : الألفاظ والتَّراكيب.

ثانياً : الصِّبغ البديعي.

ثالثاً : الصُّورة الشِّعريَّة.

وأخيراً جاءت الخاتمة، وتضمَّنت خلاصةً للبحث.

أمَّا الفهرسان، فكان أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، إنَّه خير مسؤول

وصلى الله على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

** ** ** **

التَّمهيد :

حقيقة الحروب الصَّليبيَّة :

في أواخر القرن الخامس الهجري غزت أوروبا بلاد المسلمين بجيوش جرَّارة، واستمرَّت حروبهم طيلة قرنين من الزَّمان.

وقد تعدَّدت نظرة المؤرخين إلى الحروب الصَّليبيَّة، فمنهم من يرى أنها حلقة من حلقات الصِّراع بين الشَّرق والغرب، منذ عهد الفرس واليونان، وهو

صراع بين حضارتين مختلفتين، شرقيَّة وغربيَّة [١]. بينما يرى آخرون أنَّ الغزو الصَّليبي إلى المشرق العربي يشكِّل الحلقة الأخيرة من مسلسل الهجرات الكبرى الَّتي صحبت سقوط الامبراطوريَّة الرُّومانيَّة الغربيَّة[٢]. أما الفريق الثَّالث فيرى أنَّ الغزو الصَّليبي للوطن العربي هو الوسيلة التي حاولت بها أوروبا أن تتخلَّص من أوضاع العصور الوسطى السَّيئة، وتنطلق إلى حياة أوسع أُفقاً[٣].

وعلى هذا الأساس فإنَّه يمكن القول بأنَّ الغزو الصَّليبي هو : حركة استعماريَّة استغلاليَّة كبرى نبعت من الغرب الأوربي المسيحي في العصور الوسطى، واتَّخذت شكل هجوم حربي استيطاني على بلاد المسلمين ؛ بقصد امتلاكها، ونزف ثرواتها، وقد انبعثت هذه الحركة من طبيعة الأوضاع الفكريَّة والاقتصاديَّة والدِّينيَّة الَّتي سادت غرب أوروبا في القرن الحادي عشر، واتَّخذت من استغاثة نصارى الشَّرق بالأوربيين ضد المسلمين ستاراً دينيَّاً، لتعبِّر عن نفسها تعبيراً علنيَّاً واسع النِّطاق [٤].

وقد وجد الغرب الأوربي في الانقسام والتَّفرُّق اللَّذين كانا يسودان العالم الإسلامي فرصةً سانحةً لتحقيق مآربهم، فكانت حملتهم الأولى سنة ٤٩٠هـ [٥]، واستولوا فيها على أربع إمارات إسلاميَّة، منها إمارة (بيت المقدس) سنة ٤٩٢هـ

---

(١) انظر : الحركة الصَّليبية، د. سعيد عاشور ١ / ٢١ – ٢٢.
(٢) انظر : تاريخ الوطن العربي والغزو الصَّليبي، د. خاشع المعاضيدي وزميليه ص (١٩).
(٣) انظر : الحركة الصَّليبيَّة ١ / ٢٢
(٤) انظر : الجهاد الإسلامي ضَّد الصَّليبيِّن في العصر الأيُّوبي، د. فايد عاشور ص (٨١)، والحركة الصَّليبيَّة ١ / ٢٥.
(٥) انظر : الحروب الصَّليبيَّة أسبابها ـ حملاتها ـ نتائجها، لسيِّد الحريري ص (٣٧ – ٣٨).

الَّتي ارتكبوا فيها أفظع الجرائم وأبشع المجازر[1]، وهو ما يحدِّثنا عنه ابن الأثير في تاريخه (الكامل)، يقول: (وركب النَّاسَ السَّيفُ، ولبث الفرنج في البلدة أُسبوعاً، يقتلون فيه المسلمين، واحتمى جماعة منهم بمحراب دواد عليه السلام فاعتصموا به، وقاتلوا في ثلاثة أيام.. وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم، وعبَّادهم، وزهَّادهم)[2].

وبكى الشُّعراء ما حلَّ ببيت المقدس بكاءً حارًّاً، فقال أبو المظفَّر الأبيوردي قصيدةً مؤثِّرةً تشكو ذلك الحال، منها قوله :

مَزَجْنَا دِمَاءً بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ ... فَلَمْ يَبْقَ مِنَّا عُرْضَةٌ لِلْمَرَاجِمِ

وَكَيْفَ تَنَامُ العُيْنُ مِلْءَ جُفُونِهَا ... عَلَى هَفَوَاتٍ أَيْقَظَتْ كُلَّ نَائِمِ ؟

وَإِخْوَانُكُمْ بِالشَّامِ يُضْحِي مَقِيْلُهُم ... ظُهُورَ المَذَاكِي، أَو بُطُونَ القَشَاعِمِ

وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ قَدْ أُبِيْحَتْ، وَمِنْ دُمَىً ... ثُوَارِي حَيَاءً حُسْنَهَا بِالمَعَاصِمِ

أَرَى أُمَّتِي لَا يُشْرِعُونَ إِلَى العِدَا ... رِمَاحَهُمُ، والدِّيْنُ وَاهِي الدَّعَائِمِ

أَتَرْضَى صَنَادِيدُ الأَعَارِيبِ بِالأَذَى ... وَيُغْضِي عَلَى ذُلٍّ كُمَاةُ الأَعَاجِمِ

---

(١) راجع الكامل في التَّاريخ لابن الأثير ٨ / ١٨٨ – ١٨٩، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢ / ٦٧، والنُّجوم الزَّاهرة لابن تغري بردي ٥ / ١٤٨.

(٢) الكامل في التَّاريخ لابن الأثير ٨ / ١٨٩.

فَلَيْـــتَهُمُ إِذْ لَـــمْ يَـــذُودُوا حَمِيَّـــةً عَـــنِ الـــدِّينِ ضَـــنُّوا غَيْـــرَةً بِالمَحَـــــــــــــــــارِمِ(١)

وصور شاعر آخر تلك المأساة الَّتي حلَّت، فقال :

أَحَـــلَّ الكُفْـــرُ بِالإِسْـــلَامِ ضَـــيْماً يَطُـــولُ عُلُيْـــهِ لِلـــدِّينِ النَّحِيـــبُ

فَحَـــقٌّ ضَـــائِعٌ، وَحِمَـــىً مُبَـــاحٌ وَسَـــيْفٌ قَـــاطِعٌ، وَدَمٌ صَـــبِيبُ

وَكَـــمْ مِـــنْ مُسْـــلِمٍ أَمْسَـــى سَـــلِيْباً وَمُسْـــلِمَةٍ لَهَـــا حَـــرَمٌ سَـــلِيبُ

أَتُسْـــبَى المُسْـــلِمَاتُ بِكُـــلِّ ثَغْـــرٍ وَعَـــيْشُ المُسْـــلِمِينَ إِذاً يَطِيـــبُ ؟

فَقُـــلْ لِـــذَوِي البَصَـــائِرِ حَيْـــثُ كَـــانُوا أَجِيْبُـــوا اللهَ وَيْحَكُـــمُ أَجِيْبُـــوا(٢)

وكانت الأحداث الخطيرة في ذلك الوقت تتطلَّب من المسلمين وحدة الصَّفِّ، واجتماع الكلمة، والتَّوحُّد يداً واحدة ؛ لمواجهة ذلك العدوان على بلاد المسلمين، وممتلكاتهم، ومقدَّساتهم.

وشهدت الأمور ظهور بارقة أمل تلوح في الأُفق، وتمثَّلت في ظهور قائد فذّ، وحَّد الصفوف، وأعاد بناء الجبهة الإسلاميَّة، ووقف بثبات أمام الزَّحف

(١) ديوان الأبيوردي ٢ / ١٥٦ – ١٥٧. تحقيق : د. عمر الأسعد.
(٢) النُّجوم الزَّاهرة لابن تغري بردي ٥ / ١٥١.

الصَّليبي، ذلك القائد هو عماد الدِّين زنكي [١] ـ والد نور الدِّين محمود ـ الَّذي استردَّ بعض الإمارات الإسلاميَّة الَّتي استولى عليها الصَّليبيُّون، وأظهر بطولة نادرة في قتالهم، ولمَّا اغتيل سنة ٥٤١هـ تولَّى الأمر من بعده ابنه نور الدِّين محمود، الَّذي عدَّ البطل الثَّاني من أبطال المسلمين في الحروب الصَّليبيَّة [٢].

أمَّا البطل الثَّالث الَّذي تحقق على يديه دحر الجحافل الصَّليبيَّة، وطردها، وفتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ فهو صلاح الدِّين الأيُّوبي [٣]، الَّذي اكتمل به عقد البطولة، واقتُطفت الثَّمرة المرجوَّة، وتحقَّقت أمنيات المسلمين.

نور الدِّين محمود :

---

(١) عماد الدِّين زنكي بن قسيم الدَّولة آق سنقر التُّركي، ولَّاه السُّلطان محمود السَّلجوقي إمارة الموصل، وحمل على عاتقه توحيد الصُّفوف، واستنقاذ البلاد الإسلاميَّة التي استولى عليها الصَّليبيُّون، وكان فارساً شجاعاً، شديد البأس، عظيم الهيبة، قتل سنة ٥٤١هـ.
(انظر : التَّاريخ الباهر في الدَّولة الأتابكيَّة بالموصل لابن الأثير ص (٧٦)، ومفرِّج الكروب لابن واصل ١ / ١٩ والبداية والنِّهاية لابن كثير ١٢ / ١٩٠، وشذرات الذَّهب لابن العماد الحنبلي ٤ / ١٢٨).

(٢) انظر : نور الدِّين محمود ـ سيرة مجاهد صادق ـ د. حسين مؤنس ص (٢٠٧)، وتاريخ الوطن العربي والغزو الصَّليبي ص (٩٧).

(٣) صلاح الدِّين : هو أبو المظفَّر يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان التكريتي، الملقَّب بـ (الملك النَّاصر)، ولد سنة ٥٣٢هـ، وتعلَّم على يد والده الفروسيَّة حتى أصبح في مقدِّمة الفرسان، وهو صاحب الفتوحات العظيمة، وقاهر الصَّليبيِّين، ومنقذ المسجد الأقصى سنة ٥٨٣هـ، توفي رحمه الله سنة ٥٨٩هـ. =

انطلق الدَّور الجهادي لنور الدِّين محمود بعد اغتيال والده وهو يحاصر (قلعة جعبر) سنة ٥٤١هـ، فأكمل فتح القلاع الَّتي استولى عليها الصَّليبيُّون، وفتح كثيراً من الحصون، وواجه الحملة الصَّليبيَّة الثَّانية بحزم وشدَّة، واستردَّ كثيراً ممَّا في أيديهم، ومن ذلك حصن (إنِّب)[١] الَّذي حاصره نور الدِّين، ووقع قتال شديد انتهى بهزيمة الصَّليبيِّين (وقتل البِرَنْس حاكم أنطاكية، وكان عاتياً من عتاة الفرنج، وعظيماً من عظمائهم) [٢]، فاستبشر المسلمون بهذا النَّصر، ومدح الشُّعراء نور الدِّين محمود، ومنهم الشَّاعر أبو عبدالله بن القيسراني[٣]، الَّذي دبَّج فيه قصيدته (البائيَّة) الرَّائعة الَّتي عارض فيها بائيَّة أبي تمَّام في (فتح عمُّوريَّة)، يقول :

هَذِي العَزَائِمُ، لَا مَا تَدَّعِي القُضُبُ وَذِي المَكَارِمُ، لَا مَا قَالَتِ الكُتُبُ

= (انظر : النوادر السُّلطانيَّة والمحاسن اليوسفيَّة لابن شدَّاد ص (٤ – ٨)، وفيات الأعيان لابن خلكان ٧ / ١٣٩، ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب للمرتضى الزَّبيدي ص (٤٧)).

(١) حصن إنِّب : من حصون الشَّام في نواحي حلب.

(٢) مفرِّج الكروب في أخبار بني أيوب ١ / ١٢١.

(٣) هو: محمد بن نصر بن صغير بن القيسراني، ولد بعكَّا سنة ٤٧٨هـ، ونشأ بقيساريَّة ـ وهي بلدة بساحل الشَّام ـ، وقرأ الأدب على ابن الخيَّاط، وسمع الحديث من بعض العلماء، وقد اتصل بنور الدِّين محمود في حلب ومدحه بمدائح كثيرة خلَّدت انتصاراته، وتوفي بدمشق سنة ٥٤٨هـ. (الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين لأبي شامة المقدسي ١ / ١٨ – ١٩، النُّجوم الزَّاهرة ٥ / ٢٨٤).

وَهَـذِهِ الهِمَـمُ اللَّاتِـي إِذَا خَطَبَـتْ تَعَثَّـرَتْ خَلْفَهَـا الأَشْـعَارُ وَالخُطَـبُ

صَافَحْتَ يَا ابْنَ عِمَادِ الدِّينِ ذِرْوَتَهَا بِرَاحَـةٍ لِلْمَسَـاعِي دُوْنَهَـا التَّعَـبُ

مَـا زَالَ جِـدُّكَ يَبْنِـي كُـلَّ شَـاهِقَةٍ حَتَّـى بَنَـى قُبَّـةً أَوْتَادُهَـا الشُّـهُبُ

أَغْـرَتْ سُـيُوفَكَ بِـالإِفْرَنْجِ رَاجِفَـةٌ فُـؤَادُ رُوْمِيَّـةَ الكُبْـرَى لَهَـا يَجِـبُ

ضَـرَبْتَ كَبْشَـهُمُ(١) مِنْهَـا بِقَاصِـمَةٍ أَوْدَى لَهَـا الصُّـلْبُ،وَانْحَطَّتْ لَهَـا الصُّـــــــــــــــــــــــــــــــلْبُ

غَضِبْتَ لِلدِّينِ حَتَّـى لَمْ يَفُتْكَ رِضـاً وَكَان دِينُ الهُدَى مَرْضَاتُهُ الغَضَبُ

طَهَّرْتَ أَرْضَ الأَعَادِي مِنْ دِمَائِهِمُ طَهَارَةَ كُلِّ سَيْفٍ عِنْدَهَا جُنُبُ(٢)

ج

وبعد أن فرغ نور الدِّين من فتح الحصون والقلاع سعى لتحقيق الوحدة في بلاد الشَّام، ففتح دمشق سنة ٥٤٩هـ، وقوَّى الجبهة الدَّاخلية استعداداً لفتح

(١) الكَبْشُ : آلة حربيَّة متصلة بالدَّبابة، لها رأس ضخم وقرنان، تدفعها الجنود نحو الأسوار لهدمها. (انظر السُّلوك للمقريزي ١ / ٥٦).

(٢) مفرِّج الكروب ١ / ١٢١.

بيت المقدس[١]. ولمَّا كان الخطر الصَّليبي يتهدد الدِّيار المصريَّة، ويسعى للاستيلاء عليها ـ وكانت آنذاك في حكم الفاطميين ـ جاءت الرِّسالة إلى نور الدِّين محمود تحمل استنجاد الفاطميين به لحمايتهم من الصَّليبيِّين، فلم يتردَّد في إرسال حملة عسكريَّة إلى مصر بقيادة : أسد الدِّين شيركوه[٢]، وصلاح الدِّين الأيُّوبي، وذلك سنة ٥٥٩هـ، ورأى نور الدِّين أهميَّة الوحدة الإسلاميَّة، وذلك بضمِّ مصر إلى بلاد الشَّام واتحادهما في التَّصدِّي للصَّليبيِّين وتحرير البلاد الإسلاميَّة الَّتي احتلُّوها، واستنقاذ بيت المقدس من أيديهم [٣].

وتحققت الوحدة الكبرى بين مصر والشَّام بعد إسقاط الخلافة الفاطميَّة العبيديَّة، وإمساك صلاح الدِّين الأيُّوبي بزمام الأمر في مصر [٤]، وفرح النَّاس بذلك، وجاءت التَّهاني إلى نور الدِّين محمود بتحقيق ما أراد، ومن أولئك الشُّعراء

---

(١) انظر : الجهاد والتَّجديد في القرن السَّادس الهجري ـ عهد نور الدِّين محمود وصلاح الدين ـ، د. محمَّد حامد النأَّصر ص (١٨٦ – ١٨٧)

(٢) أسد الدِّين شيركوه بن شاذي بن مروان التكريتي الكردي، قدم مع أخيه نجم الدين أيوب إلى تكريت ثم إلى الموصل حيث التقيا بعماد الدِّين زنكي فأكرمهما، ثم اتصلا بنور الدِّين محمود، وكان شيركوه ممَّن أسهموا في إسقاط الخلافة الفاطميَّة في مصر، توفي ٥٦٤هـ.
(انظر : وفيات الأعيان لابن خلِّكان ٢ / ٤٧٩ – ٤٨٠، ومفرِّج الكروب ١ / ١٤٨، شفاء القلوب في مناقب بني أيُّوب للحنبلي ص (٢٥ – ٣٩)).

(٣) انظر : مقومات حركة الجهاد ضدَّ الصَّليبيِّين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدِّين محمود، د. عبد الله سعيد الغامدي ص (٢٣).

(٤) انظر الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ٤٩١.

العماد الأصبهاني [١] الَّذي هنأ نور الدِّين محمود في قصيدته الميميَّة، الَّتي يقول فيها :

بِمُلْكِ مِصْرَ أُهَنِّي مَالِكَ الأُمَمِ ... فَاسْعَد، وَأَبْشِر بِنَصْرِ اللهِ عَنْ أَمَمِ

أَضْحَى بِعَدْلِكَ شَمْلُ المُلْكِ مُلْتَئِماً ... وَهَلْ بِعَدْلِكَ شَيْءٌ غَيْرُ مُلْتَئِمِ

أُغْزُ الفِرَنْجَ، فَهَذَا وَقْتُ غَزْوِهِمُ ... وَاحْطِمْ جُمُوعَهُمُ بِالذَّابِلِ الحَطِمِ

وَطَهِّرِ(القُدْسَ)مِنْ رِجْسِ الصَّلِيبِ،وَثِبْ ... عَلَى البُغَاثِ، وُثُوبَ الأَجْدَلِ القَطِمِ

فَمُلْكُ مِصْرَ وَمُلْكُ الشَّامِ قَدْ نُظِمَا ... في عِقْدِ عِزٍّ مِنَ الإِسْلَامِ مُنْتَظِمِ[٢]

ولم يمهل القدر نور الدِّين ليكمل مسيرة الفتوح والانتصارات، فقد وافته منيَّته في شهر شوال سنة ٥٦٩هـ، ودفن في قلعة دمشق.[٣]

---

(١) هو : أبو عبد الله محمَّد بن حامد بن هبة الله الأصبهاني، ولد سنة ٥١٩هـ بأصبهان، وقدم إلى بغداد، وطلب العلم هناك، ثمَّ انتقل إلى دمشق، واتصل بالملك العادل نور الدِّين محمود، ثم اتَّصل بصلاح الدِّين الأيُّوبي ومدحه بقصائد كثيرة، توفي سنة ٥٩٧هـ.
(انظر : وفيات الأعيان ٥ / ١٤٧، معجم الأدباء ١٩ / ١١، الوافي بالوفيات للصَّفدي ١ / ٤٦، النُّجوم الزَّاهرة ٦ / ١٧٩).

(٢) ديوان العماد الأصبهاني ص (٣٨١ – ٣٨٢).

(٣) انظر : مفرِّج الكروب في أخبار بني أيُّوب ١ / ٢٥٩.

ولمَّا علم صلاح الدِّين بوفاته تأثَّر حتَّى خنقته العبرات ؛ لمكانة قائده في قلبه، وإعجابه بصفاته، وتضحياته [1].

وقد بكاه الشُّعراء، وتأثَّروا لفقده، ومنهم العماد الأصبهاني الَّذي رثاه بقصيدة مؤثِّرة أظهر فيها تفجُّعه لما أصاب الإسلام والمسلمين من البلاء العظيم بموته، يقول فيها:

الـدِّينُ فِـي ظُلَـمِ لِغَيْبَـةِ (نُـورِهِ) وَالـدَّهْرُ فِـي غَـمٍّ لِفَقْـدِ أَمِيـرِهِ

فَلْيَنْـدُبِ الإِسْـلَامُ حَـامِيَ أَهْلِـهِ وَالشَّـامُ حَـافِظَ مُلْكِـهِ وَثُغُـورِهِ

مَـنْ لِلْفِـرَنْجِ ؟ مَـنْ لَأَسْـرِ مُلُوكِهَـا ؟ مَـنْ لِلْهُـدَى يَبْغِـي فَكَـاكَ أَسِـيْرِهِ ؟

أَنْـتَ الَّـذِي أَحْيَيْـتَ شَـرْعَ (مُحَمَّـدٍ) وَقَضَـيْتَ بَعْـدَ وَفَاتِـهِ بِنُشُـورِهِ[2]

** ** ** **

(١) انظر : الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ٢٢٩.

(٢) ديوان العماد الأصبهاني ص (٢١٢ – ٢١٣).

المبحث الأوَّل

ملامح البطولة في الشِّعر

ويتضمَّن ما يأتي :

أولاً : الشَّجاعة والإقدام.
ثانياً : نصرة الإسلام.
ثالثاً : العدل والإحسان

أوَّلاً : الشَّجاعة والإقدام :

أظهرت الحروب مع الصَّليبيِّين صوراً متعدِّدة لشخصيَّة المجاهد المسلم، ودوره في المعركة، وشجاعته وبسالته في القتا ل، ومجالدة الأعداء، يرقب ذلك التَّوهُّج في القتال، ويرصد ملامح تلك البطولات الَّتي ناصعة في التَّاريخ الإسلامي.

وكانت شخصيَّة نور الدِّين محمود بارزة في الحروب ا ضرب صوراً عديدة في البطولة والتَّضحية من أجل نصرة الإسلام، واسترداد أراضي المسلمين وحقوقهم، وطرد المحتلِّ الصَّليبي من الدِّيار والبلدان الإسلاميَّة الَّتي قدم من بلاده لاحتلالها.

ولم يكن لنور الدِّين محمود ـ وهو يخوض معركة تحرير بلاد الشَّام واستنقاذ بيت المقدس ـ اهتمام بأمر سوى الجهاد. قال العماد الأصبهاني : (سألني نور الدِّين أن أعمل " دوبيتيَّات " في معنى الجهاد على لسانه، فقلت :

أَقْسَمْتُ سِوَى الجِهَادِ مَالِي أَرَبُ وَالرَّاحَةُ في سِوَاهُ عِنْدِي تَعَبُ

إِلَّا بِالِجدِّ لَا يُنَالُ الطَّلَبُ وَالعَيْشُ بِلَا جِدِّ جِهَادٍ لَعِبُ (١))

ونظم على لسانه أيضاً :

لَا رَاحَةَ فِي العَيْشِ سِوَى أَنْ أَغْزُو سَيْفِي طَرَباً إِلى الطُّلَى يَهْتَزُّ

في ذُلِّ ذَوِي الكُفْرِ يَكُونُ العِزُّ وَالقُدْرَةُ في غَيْرِ جِهَادٍ عَجْزُ(١)

(١) ديوان العماد الأصبهاني ص (٧٦) تحقيق، د. ناظم رشيد.

ومن الشُّعراء الَّذين تلمَّسوا تلك الملامح البطوليَّة عند نور الدِّين محمود الشَّاعر ابن القيسراني، الَّذي وصف مسيره مع الجيش، وما يوقعه في الأعداء من فتك وأسر، وما يدخله في قلوبهم من رعب وخوف، فقال :

إِذَا سَارَ نُورُ الدِّينِ في الجَيْشِ غَازِياً ... فَقُولَا لِلَيْلِ الإِفْكِ قَدْ طَلَعَ الصُّبْحُ

تَرَكْتَ قُلُوبَ الشِّرْكِ تَشْكُو جِرَاحَهَا ... فَلَا زَالتِ الشَّكْوَى، وَلَا انْدَمَلَ الجُرْحُ

صَبَرْتَ فَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَغَبَّةٍ ... فِسِيقَ إِلَيْكَ المُلْكُ يَسْعَى بِهِ النُّجْحُ

بِكَ ابْتَهَجَ الأَلْبَابُ، وانْتَهَجَ الحِجَا ... وَأَثْمَرَتِ الآدَابُ، واطَّرَدَ المَدْحُ(٢)

ويصف شجاعته وإقدامه في أرض المعركة، وما يُلحقه بأعدائه من الهزيمة، حيث يشبهه بالسَّيف الصَّارم المصلت على أعدائه، فيقول :

وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا السَّيْفُ في كُلِّ حَالَةٍ ... فَطَوْراً لَهُ حَدٌّ، وَطَوْراً لَهُ صَفْحُ

سَقَيْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حتَّى رَدَدْتَهَا ... تَرَنَّح من سُكْرٍ، فَخَلِّ القَنَا تَصْحُو

---

(١) ديوان العماد الأصبهاني ص (٢٢٣). تحقيق : د. ناظم رشيد.

(٢) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين لأبي شامة المقدسي ١ / ١٨٠.

وَمَـا كَـانَ كَـفُّ العَـزْمِ إِلَّا إِشَـارة إِلـى الحَـزْمِ لَـوْ لَـمْ يَغْضَـبِ السَّـيْفُ والـــــــــــــــــــــــرُّمْحُ(١)

ويصف ابن قسيم الحموي [٢] ملمحاً بارزاً من ملامح البطولة عند نور الدِّين وهو يواجه خصومه في ميدان القتال، فشجاعته تبدو من طلاقة وجهه، وثقته بنفسه، وقوة إرادته، وحنكته وعزيمته في الجهاد، إذ يصف ذلك في قوله :

تَبْـدُو الشَّـجَاعَةُ مِـنْ طَلَاقَـةِ وَجْهِـهِ كَـالرُّمْحِ دَلَّ عَلَـى القَسَـاوَةِ لِيْنُـهُ

وَوَرَاءِ يَقْظَتِـــهِ أَنَـــاةُ مُجَـــرِّبٍ للهِ سَـــطْوَةُ بَأْسِـــهِ وَسُـــكُونُهُ

هَـذَا الَّـذِي فـي الله صَـحَّ جِهَـادُهُ هَـذَا الَّـذِي بِـالله صَـحَّ يَقِينُـهُ

فَتَحَ (الرُّهَـا)(٣) بـالأَمْسِ فَانْفَتَحَـتْ لَـــــــــــــــــــــــــهُ أَبْوَابُ مُلْكٍ لَا يَزَالُ يَصُونُهُ(٤)

(١) المصدر السَّابق ١ / ١٨٠.

(٢) هو : أبو المجد مسلم بن الخضر بن قسيم الحموي، ولد في أوائل القرن السَّادس الهجري، وتعلَّم الفقه والحديث، ونال نصيباً أوفى في الإطلاع على الشِّعر والنَّثر، وكان من شعراء عصره البارزين، توفي سنة ٥٤٢هـ.
(انظر : خريدة القصر ١ / ٤٣٣، مفرِّج الكروب ١ / ٨٢).

(٣) الرُّها : ـ بضم الرَّاء ـ مدينة بالجزيرة بين الموصل والشَّام. (انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ٣ / ١٠٦)

(٤) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ٥٧.

وفي المعركة الَّتي تجمَّع فيها الصَّليبيُّون في (حوران) لملاقاة المسلمين كان الظَّفر فيها لجيش نور الدِّين الَّذي ألحق بالصَّليبيِّين هزيمةً ساحقةً، كان صداها كبيراً في نفوس المسلمين، وتحدَّث عنها الشُّعراء، ومنهم عماد الدِّين الأصبهاني، الَّذي نظم قصيدته النُّونيَّة، الَّتي يقول مطلعها :

عُقِـدَتْ بِنَصْـرِكَ رَايَـةُ الإِيْمَـانِ وَبَـدَتْ لِعَصْـرِكَ آيَـةُ الإِحْسَـانِ

يَـا غَالِـبَ الغُلْـبِ المُلُـوكِ وَصَـائِدَ الصِّـيدِ اللُّيوثِ، وَفَارِسَ الفُرْسَـانِ(١)

حيث وصف ما صنعه وجيشه بفلول الصَّليبيِّين الطَّامعين، الَّذين لم يدر بخلدهم أن يُواجهوا بمثل تلك القوَّة، وذلك الإقدام، يقول مخاطباً نور الدِّين :

كَـمْ وَقْعَـةٍ لَـكَ فـي الفِـرَنْجِ، حَـدِيْثُهَا قَـدْ سَـارَ فـي الآفَـاقِ وَالبُلْـدَانِ

قَمَّصْـتَ (قَوْمَصَـهُمْ)(٢) رِدَاءً مِـنْ رَدىً وَقَرَنْتَ رَأْسَ (بِرَنْسِـهِمْ)(٣) بِسِنَانِ

وَمَلَكْـتَ رِقَّ مُلُـوكِهِمْ وَتَـرَكْتَهُمْ بِالـذُّلِّ فـي الأَقْيَـادِ والأَسْـجَانِ

(١) ديوان العماد الأصبهاني ص (٢٢٣). تحقيق : د. ناظم رشيد.
(٢) القَوْمَص : لقب يطلق على الأمير أو القائد الصَّليبي.
(٣) البِرَنْسُ : لقب يُلَقَّبُ به ملوك الصَّليبيين.

وَجَعَلْـتَ فـي أَعْنَـاقِهِمْ أَغْلَالَهُـمْ وَسَـحَبْتَهُمْ هَوْنـاً عَلَـى الأَذْقَـانِ

إِذْ فـي السَّـوَابِغِ تَحْطُـمُ السُّـمْرُ القَنَـا والبِـيضُ تُخَضَـبُ بِـالنَّجِيعِ القَـانِي

وَعَلـى غِنَـاءِ المَشْـرَفِيَّةِ فـي الطُّلَـى وَالهَـامِ رَقْـصُ عَوَامِـلِ المُـرَّانِ

وَكَـأَنَّ بَـيْنَ النَّقْـعِ لَـمْعُ حَدِيـدِهَا نَـارٌ تَـأَلَّقُ مِـنْ خِـلَالِ دُخَـانِ

فـي مَـأْزِقٍ وَرْدُ الوَرِيـدِ مُكَفَّـلٌ فِيـهِ بِـرَيِّ الصَّـارِمِ الظَّمْـآنِ

غَطَّـى العَجَـاجُ بِـهِ نُجُـومَ سَـمَائِهِ لِتَنُـوبَ عَنْهَـا أَنْجُـمُ الخُرْصَـانِ(١)

يَـا خَيْبَـةَ الإِفْـرَنْجِ حِـينَ تَجَمَّعُـوا فـي حَيْـرَةٍ، وَأَتَـوْا إِلـى (حَـوْرَانِ)(٢)

وما أجمل رؤية الشَّاعر وأصدقها حين استلهم معاني النَّصر على الأعداء في قصيدته، ورأى أنَّ من أهم أسباب انتصار هذا القائد البطل ـ الَّتي يُعوِّل عليها في حروبه ـ ثقته بنصر الله تعالى له، وإيمانه بأن النصر لا يكون إلَّا من عند الله، وليس في كثرة العدد أو العتاد، حيث يقول العماد الأصبهاني مخاطباً البطل نور الدِّين محمود :

(١) الخُرْصَانُ : الدُّروع.

(٢) ديوان العماد الأصبهاني ص (٤١١ – ٤١٢).

لَـــمْ تَلْقَهُـــمْ ثِقَـــةً بِقُـــوَّةِ شَـــوْكَةٍ لَكِـــنْ (وَثِقْـــتَ) بِنُصْـــرَةِ الـــــــــــــــــــرَّحْمَنِ(١)

وهذه النَّظرة الإيمانيَّة العميقة استوحاها كثير من الشُّعراء في بيان أسباب تلك الانتصارات الَّتي حققها المسلمون في عصر الحروب الصَّليبيَّة[٢].

وتبرز شخصيَّة البطل المسلم في تلك الحروب في المواجهة والتَّصدي لجحافل الأعداء، ومنعها من أن تطأ بلاد المسلمين، وإلحاق الهزيمة بها، وهذا ما صنعه نور الدِّين محمود عندما قدم (البرنس) حاكم أنطاكية بجحافله وجيوشه الجرَّارة إلى حصن (إنِّب)[٣] لاحتلاله وكسر الجموع المرابطة فيه، فلقيه نور الدِّين، وحاصره من جميع الجهات، وألحق بجيوشه الهزيمة، وقُتل (البرنس) في الموقعة، (وكان عاتياً من عتاة الفرنج)[٤] كما يقول ابن واصل. وقد سجَّل الشِّعر تلك البطولة، وصوَّر ما قام به نور الدِّين في تلك المواجهة الحاسمة، يقول ابن القيسراني في قصيدته البائيَّة الَّتي عارض بها (بائيَّة) أبي تمَّام :

أَغْـرَتْ سُـيُوفَكَ بِـالإِفْرَنْجِ رَاجِفَـةٌ فُـؤَادُ رُوْمِيَّـةَ الكُبْـرَى لَهَـا يَجِـبُ

(١) المرجع السَّابق ص (٤١٧).
(٢) انظر : الحياة الأدبيَّة في عصر الحروب الصَّليبيَّة بمصر والشَّام، د. أحمد أحمد بدوي ص (٤٣١)، وشعر الجهاد في الحروب الصَّليبيَّة في بلاد الشَّام، د. محمد علي الهرفي ص (١٥٥).
(٣) إنِّب : حصن في نواحي حلب.
(٤) مفرِّج الكروب ١ / ١٢١.

ضَـرَبْتَ كَبْشَـهُمُ(١) مِنْهَـا بِقَاصِـمَةٍ أَوْدَى لَهَـا الصُّـلْبُ،وَانْحَطَّتْ لَهَـا الصُّـــــــــــــــــــــــــلُبُ

حَتَّـى اسْـتَطَارَ شَـرَارَ الزَّنْـدِ قَادِحُـهُ فَالحَرْبُ تُضْـرَمُ، وَالآجَالُ تُحْتَطَـبُ

وَالخَيْـلُ مِـنْ تَحْـتِ قَتْلَاهَـا تقرُّ لَهَـا قَـوَائِمٌ خَـانَهُنَّ الـرَّكْضُ وَالخَبَـبُ

وَالنَّقْـعُ فَـوْقَ صِـقَالِ البِـيضِ مُنْعَقِدٌ كَمَـا اسْـتَقَلَّ دُخَـانٌ تحتـهُ لَهَـبُ

وَالسَّـيْفُ هَـامٍ عَلَـى هَـامٍ بِمَعْرَكَـةٍ لَا (البِــيضُ) ذُو ذِمَّــةٍ فِيهَــا ولَا اليَلَـــــــــــــــــــــــبُ(٢)

وَالنَّبْـلُ كَالوَبْـلِ هَطَّـالٌ، وَلَـيْسَ لَـهُ سِـوَى القِسِــيِّ، وَأَيْـدٍ فَوْقَهَـا سُـحُبُ

وَلِلظُّبَـــا ظَفَـــرٌ حُلْـــوٌ مَذَاقَتُـــهُ كَأَنَّمَـــا الضَّـــرْبُ فِيمَـــا بَيْـــنَهُم ضَـــــــــــــــــــــــــرَبُ(٣)

خَـانُوا فَخَانَـتْ رِمَـاحُ الطَّعْنِ أَيْـدِيَهُم فَاسْتَسْلَمُوا، وَهْيَ لَا نَبْعٌ ولَا غَرَبُ

---

(١) الكَبْشُ : آلة حربيَّة متَّصلة بالدَّبَّابة، لها رأس ضخم وقرنان، تدفعها الجنود نحو الأسوار لهدمها. (انظر السُّلوك للمقريزي ١ / ٥٦).

(٢) البيضُ : جمع بيضة وهي الخَوْذَةُ من الحديد تُلبس على الرأس لوقايته.
واليَلَبُ : الدُّروع من الجلود.

(٣) الضَّرَبُ : العَسَلُ الأبيض الغليظ.

أَجْسَـادُهُم فـي ثِيَـابٍ مِـنْ دِمَـائِهِمُ مَسْـلُوبَةٌ، وَكَـأَنَّ القَـوْمَ مَـا سُـلِبُوا

أَنْبَـاءُ مَلْحَمَـةٍ لَـوْ أَنَّهَـا ذُكِـرَتْ فِيمَـا مَضَـى نَسِـيَتْ أَيَّامَهَـا العَـرَبُ(١)

فهذه الصُّورة الَّتي يرسمها ابن القيسراني تتجلَّى فيها مظاهر البطولة الفذَّة، والوقفة الشُّجاعة أمام عادية الأعداء، والإعداد لهم بكامل عناصر القوَّة، ومواجهتهم بكل حزم وبسالة، وتحقيق الانتصارات الَّتي كان يتوق إليها المسلمون في ذلك العصر.

ولمَّا هزم نور الدِّين محمود الصَّليبيين في (حصن حارم)[٢] وفرَّق جموعهم، وأسقط فرسانهم مجندلين في أرض المعركة، وصف ابن القيسراني بطولة ذلك القائد، وما يتمتع به من شجاعة وإقدام، يقول :

وَيَغْشَـى حَوْمَـةَ الهَيْجَـا (هُمَـامٌ) يَشُـدُّ بِضَـبْعِهِ السَّـبْعُ الشِّـدَادُ

أَظَنُّـوا أَنَّ نَـارَ الحَـرْبِ تَخْبُـو وَ(نُـورُ الـدِّينِ) فـي يَـدِهِ الزِّنَـادُ

وجُنْـدُ كَالصُّـقُورِ عَلَـى صُـقُورٍ إِذَا انْقَضُّوا عَلَى الأَبْطَالِ صَادُوا (١)

(١) مفرِّج الكروب ١ / ١٢١ – ١٢٢.

(٢) حصن حارم : من حصون بلاد الشَّام إلى القرب من حلب. (انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ٣ / ١٩٩)

ويصف ابن منير الطَّرابلسي[٢] ما أحدثه جيش نور الدِّين في جحافل الصَّليبيين، وذلك حين داهمهم في عقر البلاد الَّتي احتلُّوها، وألحق بهم الهزيمة، حيث يخاطب نور الدِّين محمود، مبيِّناً دوره الشُّجاع في التَّصدي والمواجهة، فيقول :

وَلَكَمْ لَكُمْ فـي أَرْضِـهِمْ مِـن مَشْـهَدٍ قَامَـتْ بِـهِ لِظُبَـاكُمُ(٣) الأَشْـهَادُ

مُلْـقٍ بِـأَطْرَافِ الفِرَنْجَـةِ كَلْكَـلاً طَرْفَـاهُ ضَـرْبٌ صَـادِقٌ وَجِـلَادُ

حَامُوا، فَلَمَّا عَايَنُوا حَوْضَ الرَّدَى حَـامُوا بِـرَائِشِ كَيْـدِهِمْ أَوْ كَـادُوا

وَرَجَـا (البِـرَنْسُ) وَقَدْ تَبَـرْنَسَ ذِلَّـةً حَرَمَـاً (بِحَـارِمَ) وَالمُصَـادُ مُصَـادُ

ضَـجَّتْ ثَعَالِبُـهُ فَـأَخْرَسَ جَرْسَـهَا (بِيضٌ) تُنَاسِبُ فـي الحَدِيدِ حِدَادُ

---

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ١٤٦.

(٢) هـو : أبـو الحسـين أحمـد بـن منيـر الطَّرابلسـي، ولـد سـنة ٤٧٣هـ بطـرابلس، وعـرف بشاعريَّته،
اتَّصل بعماد الدِّين زنكي وابنه نور الدِّين محمود ومدحهما، توفي بحلب سنة ٥٤٨هـ.
(راجـع : وفيـات الأعيـان ١ / ٤٩، وشـذرات الذَّهب لابـن العمـاد الحنبلـي ٤ / ١٤٦، والبدايـة والنهاية لابن كثير ١٠ / ٢٣١).

(٣) الظُّبا : السُّيوف.

عَجَبَــاً لِقَــومٍ حَــاوَلُوكَ وَحَــاوَلُوا عَــوْدَاً، فَوَاتَــاهُمْ إِلَيْــهِ مُــرَادُ

وَرَأَوْا لِـوَاءَ النَّصْــرِ فَوْقَـكَ خَافِقَـاً فَأَقَامَ مِنْهُمْ في الضُّلُوعِ فُؤَادُ (١)

ويصوِّر الشَّاعر ابن منير الطَّرابلسي دور نور الدِّين البطولي، وبسالته، وإقدامه على التَّصدِّي لفلول الصَّليبيِّين، الَّذين عاثوا فساداً في بلاد المسلمين، فيقول :

أَلَا للهِ وَجْهــــــكَ وَالمَنَايَــــــا مُكَحَّلَــــةٌ، وَلِلْبِــــيضِ افْتِــــرَارُ

هَتَكْـتَ حِجَابَـهُ، وَالنَّصْــرُ غَيْـبٌ وَلِلْهَبَــوَاتِ طَــــيٌّ وَانْتِشَــــارُ

بِطَعْــنٍ لِلْقُلُــوبِ بِــــهِ انْتِظَــامٌ وَضَــرِبٍ لِلـرُّؤُوسِ بِـهِ انْتِشَـارُ

تُبَــادِرُهُ كَــأَنَّ المَــوْتَ غُــتْمٌ (٢) وَمَـا مِـنْ عَـادَةِ البَـدْرِ البِـدَارُ(٣)

ومن المواقف البطوليَّة في الحروب الصَّليبيَّة ما حقَّقه نور الدِّين محمود من تركيز على الجهاد، وشجاعة في قتال الأعداء، حتَّى أضحى النَّاس لا

(١) ديوان ابن منير الطَّرابلسي ص (٢٦٣)، جمع وتقديم : د. عمر تدمري.
(٢) الغُتْمُ من الغُتْمَةُ : العُجْمَةُ، والأَغْتَمُ : الَّذي لا يُفْصِحُ شيئاً، والجمع غُتْمٌ.
(٣) ديوان ابن منير الطَّرابلسي ص (٢٥١ – ٢٥٢).

يرهبون عدوَّهم، ولا يخشون مواجهته، كما كان الحال في بداية الأمر، يقول ابن القيسراني مخاطباً نور الدِّين :

رَدَدْتَ الجِهَادَ الصَّعْبَ سَهْلاً سَبِيْلُهُ وَيَا طَالَـمَا أَمْسَى وَمَسْلَكُهُ وَعْرُ

وَأَطْمَعْـتَ فـي الإِفْـرَنْجِ مَـنْ كَـانَ بَأْسُـــــــــــــــــــــــــــــهُ تَخَـوَّفِ أَنْ يَعْتَــادَهُ مِــنْهُمُ فِكْــرُ

وَأَقْحَمْــتَ جُــرْدَ الخَيْــلِ أَعَلَـــى حُصُـــــــــــــــــــــــــونِهَا وَلَـوْلَاكَ لَـمْ يَهْجُـمْ عَلَـى كَـافِرٍ كُفْـــــــــــــــــــــــــرُ(١)

** ** ** **

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين لأبي شامة المقدسي ١ / ١٨٧.

ثانياً : نصرة الإسلام :

لقد كان توحيد الصَّفِّ، والدَّعوة إلى الجهاد، ونصرة الإسلام في مقدِّمة الأمور الَّتي اضطلع بها نور الدِّين محمود، ونادى إليها، فلم يشغل باله بأمر سواها ؛ لأنَّ المسلمين في ذلك العصر كانوا يواجهون الخطر المحدق من قبل المحتلِّين، وكانوا يشهدون تدفُّق الأساطيل والسُّفن من أوربا لمساندة ودعم الصَّليبيِّين الغزاة في بلاد الشَّام، فكان الأمر جدُّ خطير، وكان التَّصدي للمحتلِّين، وطردهم من بلاد المسلمين ومقدَّساتهم هو الأمر الَّذي دعا إليه العلماء، والشُّعراء، وأرباب الرأي، فقد وجَّهوا نداءاتهم إلى نور الدِّين، مبينين ما ينبغي فعله أمام خطر الصَّليبيِّين، فبعد استيلائه على مصر وإسقاط الخلافة الفاطميَّة،وما تحقَّق من قوَّة للمسلمين خاطبه الحافظ بن عساكر[1] مبيِّناً له ضرورة مواصلة الجهاد، وتحرير المسجد الأقصى من دنس الصَّليبيِّين، وما في ذلك الأمر من الأجر العظيم والثَّواب الجزيل، فيقول :

وَلَسْتَ تُعْذَرُ في تَرْكِ الجِهَادِ وَقَدْ أَصْبَحَتَ تَمْلِكُ مِنْ مِصْرٍ إِلى حَلَبِ

---

(١) هو : أبو القاسم عليُّ بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدِّمشقي، محدِّث الشَّام في عصره، ولد بدمشق سنة ٤٩٩هـ، ورحل يطلب العلم في كثير من البلدان، ومن مصنَّفاته : الأشراف على معرفة الأطراف، وفضل أصحاب الحديث، إضافةً إلى تاريخه الكبير المعروف بـ (تاريخ دمشق الكبير)، توفي بدمشق سنة ٥٧١هـ وشهد جنازته صلاح الدِّين الأيُّوبي.

(انظر : خريدة القصر ـ قسم شعراء الشَّام ـ للعماد الأصبهاني ١ / ٢٧٤، معجم الأدباء ١٣ / ٧٣

و سير أعلام النُّبلاء ٢٠ / ٥٥٤)

فَـاحْزَمُ النَّـاسِ مَـنْ قَـوَّى عَزِيْمَتَـهُ حَتَّى يَنَالَ بِهَا العَالي مِنَ الرُّتَبِ

وَقَــدْ بَلَغْــتَ بِحَمْــدِ اللهِ مَنْزِلَــةً عَلِيَّةً، فَاقْصُدِ العَالي مِنَ القُرَبِ

فَطَهِّرِ (المَسْجِدَ الأَقْصَى) وَحَوْزَتَهُ مِــنَ النَّجَاسَــاتِ وَالإِشْــرَاكِ والصُّــــــــــــــــــــلُبِ

عَسَاكَ تَظْفُر في الدُّنْيَا بِحُسْنِ ثَنـاً وفــي القِيَامَــةِ تَلْقَــى حُسْــنَ مُنْقَلَــــــــــــــــــبِ(١)

ويقول العماد الأصبهاني داعياً نور الدِّين محمود إلى غزو الفرنج وهزيمتهم، وتطهير القدس من رجسهم :

أُغْـزُ الفِـرَنْجَ، فَهَـذَا وَقْـتُ غَـزْوِهِمُ وَاحْطِـمْ جُمُـوعَهُمُ بِالـذَّابِلِ الحَطِـمِ

وَطَهِّرِ(القُــــــدْسَ)مِنْ رِجْــــــسِ الصَّــــــــــــــــلِيبِ،وَثبْ عَلَــى البُغَــاثِ، وُثُــوبَ الأَجْــدَلِ القَطِــــــــــــــــــمِ(٢)

أمَّا ابن القيسراني فيدعوه إلى نصرة الإسلام واستنقاذ المسجد الأقصى، فيقول :

(١) خريدة القصر ـ قسم شعراء الشَّام ـ ١ / ٢٧٧.

(٢) ديوان العماد الأصبهاني ص (٣٨٢).

فَانْهَضْ إِلى المَسْجِدِ الأَقْصَى بِذِي لَجَبٍ ... يُولِيكَ أَقْصَى المُنَى، فَالقُدْسُ مُرْتَقَبُ

وائذَنْ لِمَوْجِكَ في تَطْهِيرِ سَاحِلِهِ ... فَإِنَّمَا أَنْتَ بَحْرٌ، لُجُّهُ لَجَبُ (١)

ولمَّا حقَّق نور الدِّين محمود انتصاره الكبير على قائد الصَّليبيِّين (جوسلين) - وكان من أدهى قادة الفرنج ومن عتاتهم - واستطاع أن يأسره وأن يأخذ البلاد الَّتي بحوزته شمالي حلب استبشر المسلمون بهذا النَّصر، ورأوا فيه خطوة كبيرة نحو انتصارات قادمة تُحقِّق لهم استرداد البلاد الإسلاميَّة بكاملها من احتلال الصَّليبيِّين، بما في ذلك فتح بيت المقدس، وهو ما أفصح عنه ابن القيسراني في قصيدته (الرَّائيَّة) الَّتي خاطب فيها نور الدِّين محمود بعد ذلك الانتصار الإسلامي الَّذي تحقَّق، فقال :

فَسِرْ وامْلَأِ الدُّنْيَا ضَيَاءً وَبَهْجَةً ... فَبِالأُفُقِ الدَّاجِي إِلى ذَا السَّنَا فَقْرُ

كَأَنِّي بِهَذَا العَزْمِ لَا فُلَّ حَدُّهُ ... وَأَقْصَاهُ (بِالأَقْصَى) وَقَدْ قُضِيَ الأَمْرُ

وَقَدْ أَصْبَحَ البَيْتُ المُقَدَّسُ طَاهِراً ... وَلَيْسَ سِوَى جَارِي الدِّمَاءِ لَهُ طُهْرُ

وَقَدْ أَدَّتِ البِيضُ الحِدَادُ فُرُوضَهَا ... فَلَا عُهْدَةٌ فِي عُنْقِ سَيْفٍ وَلَا نَذْرُ(١)

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ١٥٤.

وفي انتصار المسلمين على الصَّليبيِّين في (صرخد)[٢]، وما حدث من طردهم وإجلائهم عنها وعن باقي المدن المجاورة دليل على مواصلة الانتصارات والفتوح الَّتي كان نور الدِّين محمود يسعى جهده لتحقيقها ؛ لاسترداد كامل البلاد الَّتي احتلَّها الفرنج، حيث وقف الشِّعر يشيد بدوره في نصرة الإسلام، وإحياء الفتوح، ومطاردة الصَّليبيِّين، ومن أولئك الشُّعراء ابن منير الطَّرابلسي، الَّذي قال :

أَيَا نُورَ دِينٍ خَبَا نُورُهُ ... وَمُذْ شَاعَ عَدْلُكَ فِيهِ اتَّقَدْ

رَآكَ (الصَّليبُ) صَلِيبَ القَنَا ... ةِ أَمِينَ العِثَارِ، مَتِينَ العَمَدْ

تَهِمُّ فَتَسْلُبُه مَا اقْتَنَى ... وَتَدْنَى (٣) فَتَتْكُلُه مَا احْتَشَدْ

زَبَنْتَهُمُ (٤) أَمْسِ عَنْ (صَرْخَدٍ) ... فَفَضُّوا كَأَنَّ نَعَاماً شَرَدْ

وَيَومَ (العُرَيْمَةِ)(٥) أَقْبَلْتَهُمْ ... عُرَاماً(٦) يُثَعْلِبُ فِيهِ الأَسَدْ

---

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ٧٣

(٢) صَرْخَد : بلد ملاصق لحوران إلى القرب من دمشق. (انظر : معجم البلدان ٢ / ١٥٩).

(٣) تدنى : تسير سيراً سريعاً.

(٤) زَبَنْتَهُم : دفعتهم.

(٥) العُرَيْمَةُ : حصن في الشَّام إلى القرب من طرابلس.

(٦) العُرَامُ من الجيش : كثرته وشدَّته.

حَبَسْـتَ مَلِـيكَهُمُ(١) فـي الصِّـفَادِ وَعَفْـوُكَ عَنْـهُ أَعَـمُّ الصَّـفَدْ

وَقَبْـلَ أَزَرْتَهُـمُ فـي (الرُّهَـا)(٢) مَـوَازِقَ مَـزَّقْنَ جُـرْدَ الجُـرَدْ

بَقِيْـتُ تُرَقِّـعُ خَـرْقَ الزَّمَـا نِ قِيَامَـاً لأَبْنَائِـهِ إِنْ قَعَـدْ

تُثَقِّـفُ مِـنْ زَيْغِـهِ مَـا التَـوَى وَتُصْـلِحُ مِـنْ طَبْعِـهِ مَـا فَسَـدْ(٣)

فالشَّاعر هنا لم يمدح نور الدِّين محمود مدحاً مقترناً بالفضائل الحسيَّة أو النفسيَّة المعروفة في شعر المديح، ولكنَّ مديحه كان مرتبطاً بفكرة الجهاد، وبما قدَّمه نور الدِّين من أجل نصرة الحقِّ، مبيِّناً في مطلع قصيدته أنَّ نور الإسلام قد خبا في بداية الأمر، لما لحقه من تقاعس أبنائه عن نصرته، ولكنَّه استنار بعد ذلك واتَّقد بقدوم نور الدِّين محمود، وما أحدثه من دور عظيم في نصرة الإسلام، والذَّود عنه أمام جحافل الصَّليبيِّين، والتَّصدي لهم، وطردهم من بلاد المسلمين، كما حدث في طردهم من (صَرْخَد) و (العُرَيْمَة) و (الرُّهَا) وغيرها من بلاد الشَّام. مشيراً في خاتمة أبياته صنيع نور الدِّين محمود فقد استطاع بجهاده أن يُقوِّم الإعوجاج الَّذي كان حاصلاً، وأن يصلح ما فسد

(١) يقصد ملك الفرنج : برتراند ألفونسو بن ريموند الأول، الَّذي أسره نور الدِّين محمود ثم أطلق سراحه كرماً منه وعفواً.

(٢) الرُّهَا : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشَّام. (معجم البلدان لياقوت الحموي ٣ / ١٠٦).

(٣) ديوان ابن منير الطَّرابلسي ص (١٨٨ – ١٨٩).

من الأمور، الَّتي لم تعط الموقف حقَّه من الدِّفاع والنُّصرة والتَّضحية في سبيل إعلاء راية الإسلام.

بل إن الشَّاعر ابن القيسراني يفصح في قصيدته (البائيَّة) عن الهدف الأسمى لنور الدِّين محمود في كل معاركه وانتصاراته، فهو لم يغضب، ولم يحارب، ولم يواجه الجيوش العاتية إلَّا نصرة لدين الله، يقول :

غَضِبْتَ لِلدِّينِ حَتَّى لَمْ يَفُتْكَ رِضاً ... وَكَانَ دِينُ الهُدَى مَرْضَاتُهُ الغَضَبُ(١)

وهنا تبدو الرُّوح الإسلاميَّة المتدفِّقة الَّتي تستشعر القيم الأصيلة في شعر الحروب الصَّليبيَّة، وتجلية الدوافع والأسباب الحقيقيَّة الَّتي كانت تقف خلف تلك الانتصارات الَّتي حقَّقها المسلمون في ذلك العصر.

كما يركِّز ابن القيسراني على المعاني السَّامية لجهاد نور الدِّين محمود، وكيف أنَّه كان يحتسب كل تلك الجهود في سبيل الله تعالى ؛ راجياً منه الأجر والثَّواب، فهو يجاهد احتساباً، لا من أجل التَّكسُّب أو نيل الجاه، أو السُّلطة، أو الشُّهرة، يقول ابن القيسراني :

مَنْ كَانَ يَغْزُو بِلَادَ الشِّرْكِ مُكْتَسِباً ... مِنَ المُلُوكِ، فَنُورُ الدِّينِ مُحْتَسِبُ(٢)

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ١٥٣.
(٢) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ١٥٤.

ويتكرَّر ذات المعنى في قصيدة أخرى يصوِّر فيها ابن القيسراني جهاد نور الدِّين محمود، وذبَّه عن حوزة الدِّين، والسَّعي لنصرته، يقول مخاطباً إيَّاه :

إِذَا ذَبَّ عَـنْ أَضْـغَاثِ دُنْيَـاهُ مَالِـكٌ فَأَنْـتَ الَّذِي عَنْ حَوْزَةِ الدِّينِ ذبُّـهُ

رَأَيْـتُ اتِّبَـاعَ الحَـقِّ خَيْـراً مَغَبَّـةً فَأَفْرَجْتَ عَنْ رَأْيٍ يَسُـرُّكَ غِبُّـهُ(١)

وهذه المعاني تفصح بجلاء عن صورة مشرقةٍ زاهيةٍ، تحمل في ثناياها أسمى القيم وأنبل الغايات والمقاصد، حيث كانت صورة البطل المسلم في شعر الحروب الصَّليبيَّة حاضرةً وراسخةً في الأذهان، تستمدُّ حضورها من عظم المواقف، وقوَّة الإصرار والحماس من أجل التَّضحية والفداء في الذّب عن بلاد المسلمين، وأعراضهم، ومقدِّساتهم، ونصرة الإسلام، وإعلاء رايته أمام من يريد طمس الهويَّة الإسلاميَّة، ومصادرة حقوق المسلمين.

** ** ** **

(١) المصدر السَّابق ١ / ١٨٨.

ثالثاً : العدل والإحسان :

أبرز شعر الحروب الصَّليبيَّة الَّذي صوَّر الدَّور الجهادي لنور الدِّين محمود شيئاً من صفات هذا البطل وسماته الأخلاقيَّة الَّتي جعلته محبَّباً إلى رعيَّته، مطاعاً لدى جيشه، عظيماً في أعين المسلمين، وأول هذه الصِّفات الَّتي خلَّدها الشُّعراء صفة العدل الَّذي عاش الجميع في ظلِّه في أمن ودعة، ضعافاً وأقوياء، وهو ما ميَّز عهده، وأضفى إليه الطُّمأنينة. ومن الشُّعراء الَّذين أبرزوا هذا الجانب العماد الأصبهاني في قصيدته الَّتي خاطب فيها نور الدِّين محمود ـ وهو يحاصر بعض القلاع الَّتي استولى عليها الصَّليبيُّون ـ يقول :

أَدْرَكْتَ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ المُشْتَهَى ... وَبَلَغْتَ مِنْ نَيْلِ الأَمَانِي المُنْتَهَى

وَبَقِيْتَ فِي كَنَفِ السَّلَامَةِ آمِناً ... مُتَكَرِّماً بِالطَّبْعِ لَا مُتَكَرِّهَا

لَا زِلْتَ نُورَ الدِّينِ في فَلَكِ الهُدَى ... ذَا غُرَّةٍ لِلْعَالَمِينَ بِهَا الْبَهَا

يَا مُحْيِيَ العَدْلَ الَّذِي فِي ظِلِّهِ ... مِنْ عَدْلِهِ رَعَتِ الأُسُودُ مَعَ المَهَا(١)

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ٢ / ٣٨١.

ومن تلك الصِّفات السَّامية تقوى الله في سرِّه وعلانيته، ومراقبته في كل حال، حتى لا يبدر منه ما يسوِّد له الوجه يوم القيامة، أو يجعله يقف موقف الهالكين في ذلك اليوم العسير، حيث يقول العماد الأصبهاني :

يَـا مَـنْ أَطَـاعَ اللهَ فـي خَلَوَاتِـهِ مُتَأَوِّبـاً عَـنْ خَوْفِـهِ مُتَأَوِّهَـا

يَـا مَـنْ تُقَـدِّمُ فـي المَعَـاشِ لِوَجْهِـهِ عَمَـلاً يُبَـيِّضُ فـي المَعَـادِ الأَوْجُهَا

كُـلُّ الأُمُـورِ وَهَـى، وَأَمْـرُكَ مُبْـرَمٌ مُسْتَحْكَمٌ، لَا نَقْضَ فِيهِ وَلَا وَهَا(١)

أمَّا إحسانه إلى الرَّعيَّة وتفقُّد أحوالهم، ومساعدة ضعيفهم، وجبر كسيرهم، وإغناء فقيرهم، والعطف على صغيرهم، وتوقير كبيرهم، ومتابعة شؤونهم، وردِّ كل عاديةٍ وضررٍ عنهم، فهو أمر عرفه النَّاس عنه، وتناقلوا قصصه وسيره، الَّتي سارت بها الرُّكبان، يقول العماد الأصبهاني :

مَـا نِمْـتَ عَـنْ خَيْـرٍ، وَلَـمْ يَـكُ نَائِمـاً مَـنْ لَا يَـزَالُ عَلَـى الجَمِيـلِ مُنَبِّهَـا

أَخْمَلْـتَ ذِكْـرَ الجَـاهِلِينَ، وَلَـمْ تَـزَلْ ملكـاً بِـذِكْرِ العَـالَمِينَ مُنَوِّهَـا

وَرَأَيْـتُ إِرْعَـاءَ (الرَّعَايَـا) وَاجِبـاً تُغْنِـي فَتِيْـراً، أَو تُجِيْـرُ مُـدَلّهَا

لِرِضَـاهُمُ مُتَحَفِّظـاً، وَلَحَـالِهِمْ مُتَفَقِّـداً، وَلِـدِيْنِهِمْ مُتَفَقِّهَـا

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ٢ / ٣٨١.

وَبِمَـــا أَمَـــرَ الإِلَـــهُ أَمَـــرْتَهُمْ مِـنْ طَاعَـةٍ، وَنَهَيْـتَهُمْ عَمَّـا نَهَـى

عَـنْ (رَحْمَـةٍ) لِصَـغِيْرِهِمْ لَـمْ تَشْـتَغِلْ عَـنْ (رَأْفَـةٍ) لِكَبِيـرِهِمْ لَـمْ تُشْـدَهَا

بِاليَـأْسِ عِنْـدَكَ (آمِـلٌ) لَـمْ يُمْـتَحَنْ بِـالرَّدِّ دُوْنَـكَ سَـائِلٌ لَـمْ يُجْبَهَـا

أَتْعَبْـتَ نَفْسَـكَ كَـيْ تَنَـالَ رَفَاهَـةً مَـنْ لَـيْسَ يَتْعَـبُ لَا يَعِـيشُ مُرَفَّهَـا

فُقْتَ المُلُـوكَ (سَـمَاحَةً) و (حَمَاسَـةً) حَتَّـى عَـدِمْنَا فِـيهُمُ لَـكَ مُشْـبِهَا

وَلَـكَ الفَخَـارُ عَلَـى الجَمِيـعِ، فَـدُونَهُمْ أَصْـبَحْتَ عَنْ كُلِّ العُيُوبِ مُنَزَّهَا

وَأَرَاكَ (تَحْلُـمُ) حِـينَ تُصْـبِحُ سَـاخِطاً وَيَكَادُ غَيْرُكَ سَاخِطاً أَنْ يُسْفَهَا(١)

وفي صورة تجمع بين بسط العدل والأمن ومواجهة الأعداء على الثُّغور نجد ابن منير الطَّرابلسي يعلي من هذه القيمة الَّتي عُرف بها نور الدِّين محمود واشتهر بها في عصره فقد عُرف بإحيائه للعدل في زمن نُعي فيه العدل، واستنقاذه دين أُمَّته من الضَّياع والهوان، حيث عبَّر عن ذلك المعنى في قصيدته بمناسبة فتح نور الدِّين لحصن (بارين) سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، يقول في مطلع القصيدة :

أَيَـــا مُحْيـــيَ العَـــدْلِ لمَّـــا نَعَـــا هُ أَيَـــامَى البَرَايَـــا وَأَيْتَامُهَـــا

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ٢ / ٣٨١ – ٣٨٢.

وَمُسْـــتَنْقِذَ الـــدِّينِ مِـــنْ أُمَّـــةٍ أَزَالَ المَحَارِيـــبَ أَصْـــنَامُهَا(١)

ويتكرَّر هذا المعنى عند الشَّاعر محمد بن نصر القيسراني الَّذي يفصح بجلاء عن صورة ذلك البطل الَّذي تمكَّن الجهاد من نفسه وفؤاده، كما ترسَّخ العدل والأمن في حكمه، فنال من المحامد الَّتي لا تُسمع إلَّا في سير الأوَّلين، الَّذين أرسوا قواعد العدل، وساروا السِّيرة الحسنة، يقول ابن القيسراني :

ذُو الجِهَـادَيْنِ مِـنْ عَـدُوٍّ وَنَفْـسٍ فَهُـو طُـولَ الحَيَـاةِ فـي هَيْجَـاءِ

أَيَّهَـا المَالِـكُ الَّـذِي أَلْـزَمَ النَّـا سَ سُـلُوكَ المَحَجَّـةِ البَيْضَـاءِ

قَـدْ فَضَـحْتَ المُلُـوكَ بِالعَـدْلِ لمَّـا سِرْتَ في النَّاسِ سِيْرَةَ الخُلَفَاءِ(٢)

ويتأمل الشَّاعر في سيرته في قصيدة أُخرى، فيرى أنَّه بعدله قد بلغ حدَّاً بعيداً تنعَّم النَّاس به، وعاشوا في أمن من الجور والتَّعسُّف والظُّلم، فقد أمَّنهم من ذلك، وكأنَّه بذلك قد أَحيا سيرة العدل المضيئة عند الأوَّلين في عصر الصَّحابة والتَّابعين، ومن ذلك سيرة العدل الَّتي عُرفت عن الخليفة العادل عمر بن الخطَّاب ﷺ وكذا سيرة عمر بن عبدالعزيز ~ فكلاهما عرفا بسيرة عطرة عاشت في قلوب المسلمين مضرب المثل في العدل والإنصاف، يقول ابن القيسراني عن نهج نور الدِّين :

يَـا سَـائِلِي عَـنْ نَهْـجِ سِـيْرَتِهِ هَـلْ غَيْـرُ مَفْـرِقِ هَامِـهِ الفَجْـرِ

(١) ديوان ابن منير الطَّرابلسي ص (٢٦١).
(٢) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ٤٥.

(عَـــدْلٌ) حَقِيـــقٌ مَـــنْ تَأَمَّلَـــهُ أَنْ يُحْيـــيَ (العُمَـــرَينِ) بِالـــذِّكْرِ

وَ (شَـــهَامَةٌ) فـــي اللهِ خَالِصَـــةٌ عَقَـــدَتْ عَلَيْـــهِ تَمَـــائِمُ الأَجْـــرِ

وَ (نَـــدَى) يَـــدٍ مَـــا ضَـــرَّ وُارِدَهَـــا أَلَّا يَبِيْـــتَ مُجَـــاورَ البَحْـــرِ

هَـــذَا (المُخَـــيَّمُ) فـــي ذُرَا (حَلَـــبٍ) وَثَنَـــاؤُهُ أَبَـــداً عَلَـــى ظَهْـــرِ(١)

ويركِّز ابن القيسراني في قصيدته (الرَّائيَّة) على إبراز ملامح العدل والوفاء في صورة ذلك القائد الَّذي عُرف بهبَّاته وعزماته على الثُّغور، ونجدته لكل من قصد النجدة والأمان، يقول :

مَلِـــكٌ لَـــهُ فـــي عَدْلِـــهِ وَوَفَائِـــهِ جَـــيْشٌ، بِـــهِ تُسْـــتَفْتَحُ الأَمْصَـــارُ

وَإِذَا المُلُـــوكُ تَثَاقَلَـــتْ عَـــنْ غَايَـــةٍ وَأَرَادَهَـــا حُفَّـــتْ بِـــهِ الأَقْـــدَارُ

وَإِذَا انْتَضَـــتْهُ إِلَـــى الثُّغُـــورِ عَزِيمـــةٌ قَامَـــتْ مَقَـــامَ جُنُـــودِهِ الأَخْبَـــارُ(٢)

وتلك هي صفات القائد الَّذي حاز المجد والشَّرف، وحمل على عاتقه همَّ الرَّعيَّة، وبات يدفع عنها ويلات الشُّرور ومخاطر العدوان، ويعقد الألوية للقتال، ويتقدَّمها بنفسه، يقول ابن القيسراني :

---

(١) المصدر السَّابق ١ / ٤٧.

(٢) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ١٧٧.

المَجْـدُ مَـا ادَّرَعَـتْ ثَـرَاكَ هِضَـابُهُ وتثَّقَفَتْـــكَ شُـــعُوبُهُ وَشِـــعَابُهُ

مَلِــكٌ تَكَنَّــفَ دِيــنَ أَحْمَــدَ كُنْهُــهُ فَأَضَــاءَ نَيِّــرهُ، وَصَــابَ شِــهَابُهُ

فَالعَــدْلُ حَيْــثُ تَصَــرَّفَتْ أَحْكَامُــهُ وَالأَمْـنُ حَيْـثُ تَصَـرَّمَتْ أَشْرَابُهُ

مُتَهَلِّــلٌ، وَالمَــوْتُ فــي نَبَرَاتِــه يُرْجَــى وَيُرْهَــبُ خَوْفُــهُ وعِقَابُــهُ

عَقَـدَ اللِّـوَاءَ، وسَـارَ يَقْدُمُـهُ، وَمَـا حَلَّــتْ عُقُــودَ تَمِيْمِهَــا أَتْرَابُــهُ

أُسْــدٌ، فَرَائِسُــهُ الفَــوَارِسُ، والظُّبَــا أَظْفَــارُهُ، والسَّــمْهَرِيَّةُ غَابُــهُ(١)

هكذا تجلَّت ملامح البطولة لقائد بطل من أبطال الحروب الصَّليبيَّة، حظي بوافرٍ من الشِّعر الَّذي خلَّد سيرته وأمجاده، وسطَّر وقائعه وجهاده، وسجَّل كل ما قام به من خطوات مباركة في سبيل نصرة الإسلام.

** ** ** **

(١) المصدر السَّابق ٢ / ٢١٨.

المبحث الثَّاني

الظَّواهر الفنِّيَّة في الشِّعر

ويتضمَّن ما يأتي :

أولاً : الألفاظ والتَّراكيب.
ثانياً : الصِّبغ البديعي.
ثالثاً : الصُّورة الشِّعريَّة

أوَّلاً : الألفاظ والتَّراكيب :

اللَّفظ أساس اللُّغة الشِّعريَّة الَّتي ينطلق من خلالها الشَّاعر إلى التَّعبير عمَّا يدور في وجدانه، وإلى إيصال رسالته إلى المتلقِّي بكل سهولة ووضوح.

وقد وجَّه النُّقَّاد إلى أن تكون اللَّفظة فصيحة في النَّص الشِّعري لا يعتورها غموض أو غرابة يحتاج معها الدَّارس إلى التَّنقيب عنها في معاجم اللُّغة.

ولذا اشترط عبد القاهر الجرجاني أن يكون اللَّفظ (ممَّا يتعارفه النَّاس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشيَّاً غريباً، أو عاميَّاً سخيفاً)[١].

ودلالة اللَّفظ على المعنى المراد وقربه منه أمر يفصح عن الفكرة بشكل دقيق، فإنَّ بعض الكلمات أدلُّ على إحساس الأديب من بعض [٢].

والمتأمِّل في الشِّعر الَّذي صوَّر بطولة نور الدِّين محمود يلحظ عناية الشُّعراء بانتقاء ألفاظهم، فقد اختاروا لقصائدهم ألفاظاً مألوفة، تعبِّر عن الفكرة بوضوح،ومن ذلك ما يظهر في (نونيَّة) العماد الأصبهاني، الَّتي خاطب فيها نور الدِّين محمود، فقال :

وَجَلَوْتَ (نُورَ الدِّينِ) ظُلْمَةَ كُفْرِهِمْ ... لمَّا أَتَيْتَ بِوَاضِحِ البُرْهَانِ

وَهَزَمْتَهُمْ بِالرَّأْيِ قَبْلَ لِقَائِهِمْ ... و(الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ(٣))

أَصْبَحْتَ لِلإِسْلَامِ رُكْناً ثَابِتَاً ... وَالكُفْرُ مِنْكَ مُضَعْضَعُ الأَرْكَانِ

---

(١) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ص (٩٨).
(٢) انظر : أسس النَّقد الأدبي عند العرب، د. أحمد بدوي ص (٤٥٢).
(٣) هذا الشَّطر فيه تضمين من شعر أبي الطَّيِّب المتنبِّي في قوله:(الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ، وَهِيَ المَحَلُّ الثَّانِي)
(راجع : ديوان أبي الطَّيِّب المتنبِّي بشرح العكبري ٤ / ١٧٤)

قَوَّضْتَ آسَاسَ الضَّلَالِ بِعَزْمِكَ الْـ ـمَاضِي، وَشِدْتَ مَبَانِيَ الإِيْمَانِ

لَمْ تَلْقَهُمْ ثِقَةً بِقُوَّةِ شَوْكَةٍ لَكِنْ وَثِقْتَ بِنُصْرَةِ الرَّحمْنِ(١)

فالشَّاعر هنا يشير إلى دور نور الدِّين في الوقوف في وجه الصَّليبيِّين، والتَّصدي لقتالهم، وهزيمتهم، في كل المواقع، وكسر شوكتهم، وفي ذلك ما أعاد للمسلمين حقوقهم، وحفظ عقيدتهم، وهيَّأ لهم النَّصر بعد النَّصر، وهو ما كان يطلبه ذلك القائد البطل الَّذي لم يعتمد على كثرة العدد أو العتاد، وإنِّما وثق بنصرة الله ـ ﷻ ـ له، وإعانته في جهاده ضدَّ الصَّليبيِّين. وقد اختار الشَّاعر لتلك المعاني ألفاظاً سهلة مألوفة، قريبة إلى النَّفس، تفصح عن مدلولها، فالكلمات : (البرهان، الرأي، الشُّجعان، الإسلام، ركناً ثابتاً، الأركان، الكفر، الضَّلال، الإيمان، ثقة، نصرة، الرحمن) مألوفة سهلة، تطرق القلب مباشرة دون غموض أو التواء، وتتناسب مع المعنى الَّذي تُعبِّر عنه.

ومن الخصائص الَّتي اتَّسمت بها الألفاظ في ذلك الشِّعر (الجزالة)، وقد أبان بعض النُّقَّاد عن المواضع الَّتي يستخدم فيها اللفظ الجزل، ومن ذلك ما يكون (في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التَّهديد والتَّخويف، وأشباه ذلك[٢]). وقد مال بعض الشُّعراء في وصف المعارك مع الصَّليبيِّين، وتصوير بطولة نور الدِّين إلى الألفاظ الجزلة الَّتي تتناسب طبيعة الوقائع الَّتي خاضها،

(١) ديوان العماد الأصبهاني ص (٤١٢).
(٢) المثل السَّائر في أدب الكاتب والشَّاعر لضياء الدِّين بن الأثير ١ / ١٨٥.

وما حفلت به من الشِّدة والضَّراوة، ومن أمثلة ذلك ما نلحظه عند ابن القيسراني في قصيدته (الدَّاليَّة) الَّتي يصف فيها بطولة نور الدِّين محمود، وشجاعة جنده، فيقول :

وَيَغْشَـــى حَوْمَـــةَ الهَيْجَـــا (هُمَـــامٌ) يَشُـــدُّ بِضَـــبْعِهِ السَّـــبْعُ الشِّـــدَادُ

أَظَنُّـــوا أَنَّ نَـــارَ الحَـــرْبِ تَخْبُـــو وَنُـــورُ الـــدِّينِ فـــي يَـــدِهِ الزِّنَـــادُ

وجُنْـــدُ كَالصُّـــقُورِ عَلَـــى صُـــقُورٍ إِذَا انْقَضُّوا عَلَـى الأَبْطَـالِ صَـادُوا

إِذَا أَخْفَـــوْا مَكِيـــدَتَهُمْ أَخَـــافُوا وَإِنْ أَبْـــدَوْا عَـــدَاوَتَهُمْ أَبَـــادُوا

جَـــرَتْ بِالنَّصْـــرِ أَقْـــلَامُ العَـــوَالِي وَلَـــيْسَ سِـــوَى النَّجِيـــعِ لَهَـــا مِـــدَادُ

وَطَالَـــتْ أَرْؤُسُ الأَعْـــلَاجِ خِصْـــباً فَنَـــادَى السَّـــيْفُ قَـــدْ وَقَـــعَ الحَصَـــادُ

أَحَطْـــتَ بِهِـــمْ فَكَـــانَ القَتْـــلُ صَـــبْراً وَلَا طَعْـــنٌ هُنَـــاكَ وَلَا طِـــرَادُ (١)

فالشَّاعر يصف بطولة نور الدِّين، وشجاعته، وبأسه، وما يحدثه في أرض المعركة من فتك بالأعداء، مبيِّناً صفات جيشه الَّذين شبههم بالصُّقور، فهم إذا انقضُّوا على أعدائهم تمكَّنوا من الظَّفر، حيث وصف انتصار المسلمين في

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ١٤٦.

المعركة، وما أعملوه في الأعداء من الضَّرب والطعن. وقد اعتمد الشَّاعر في ذلك على قاموسه الحربي في اختيار ألفاظه، حيث اتَّسمت بالمتانة والجزالة، ومن تلك الكلمات : (يغشى، الهيجا، الحرب، الزِّناد، الصُّقور، انقضُّوا، أخافوا، أبادوا، النَّجيع، الأعلاج، السَّيف، القتل، الطَّعن) فهذه الألفاظ ترسم لوحة تموج بالحركة والقوَّة في إبراز البطولة وأثرها في الموقعة، كما أنَّها تجسِّد ما دار في المعركة من شجاعة وبسالة، وما نتج عنها من قتل وطعن.

ويصف ابن القيسراني ما حدث في فتح (حصن إنِّب)، وكيف تجمَّع إليه الصَّليبيُّون بعددهم وعتادهم، وقضِّهم وقضيضهم، ولكنهم واجهوا بطولة نور الدِّين وشجاعته الفذَّة، فحاصرهم، وباغتهم، بفرسانه وفوارسه، واحتدم القتال في المعركة، والنَّقع يملأ سماءها، حيث انجلت عن نصرٍ مؤزَّر للمسلمين، يقول مخاطباً نور الدِّين محمود :

طَهَّرْتَ أَرْضَ الأَعَادِي مِنْ دِمَائِهِمُ ... طَهَارَةَ كُلَّ سَيْفٍ عِنْدَهَا جُنُبُ

حَتَّى اسْتَطَارَ شَرَارَ الزَّنْدِ قَادِحُهُ ... فَالحَرْبُ تُضْرَمُ، وَالآجَالُ تُخْتَطَبُ

وَالخَيْلُ مِنْ تَحْتِ قَتْلَاهَا تقرُّ لَهَا ... قَوَائِمٌ خَانَهُنَّ الرَّكْضُ وَالخَبَبُ

وَالنَّقْعُ فَوْقَ صِقَالِ البِيضِ مُنْعَقِدٌ ... كَمَا اسْتَقَلَّ دُخَانٌ تحتهُ لَهَبُ

وَالسَّيْفُ هَامٍ عَلَى هَامٍ بِمَعْرَكَةٍ ... لَا (البِيضُ) ذُو ذِمَّةٍ فِيهَا ولَا اليَلَبُ

وَالنَّبْلُ كَالوَبْلِ هَطَّالٌ، وَلَيْسَ لَهُ ... سِوَى القِسِيِّ، وَأَيْدٍ فَوْقَهَا سُحُبُ

وَلِلظُّبَا ظَفَرٌ حُلْوٌ مَذَاقَتُهُ ... كَأَنَّمَا الضَّرْبُ فِيمَا بَيْنَهُم

ضَـــــــــــــــــــــــــــــــرَبُ(١)

فالشَّاعر يصف قدرة جيش نور الدِّين محمود على التَّصدي للصَّليبيِّين في المعركة، وإلحاق الهزيمة القاسية بهم، وفتح (حصن إنِّب) وما جاوره من الحصون، ونصره المسلمين وإعادة حقوقهم المستلبة، وقد عمد الشَّاعر في تصوير ما يدور في أجواء المعركة إلى الألفاظ الجزلة المتينة، وذلك من خلال الكلمات : (دمائهم، سيف، شرار، قادحه، الحرب، تضرم، تحتطب، الخيل، قتلاها، النقع، صقال، لهب، النَّبل، القسي، الظُّبا، الضَّرب) فهي ألفاظ تتَّسم بالقوَّة وشدَّة الجرس، وتوحي بجو المعركة، وما يكتنفه من التقاء الجيشين، وصليل السُّيوف، وإثارة النَّقع، ودويِّ القسي، وإنزال الهزيمة بالأعداء.

كما اتَّسمت التَّراكيب بحسن التَّأليف، فجاءت واضحة، بعيدة عن التَّنافر والتعقيد، ومن أمثلة ذلك قول ابن قسيم الحموي :

تَبْـدُو الشَّـجَاعَةُ مِـنْ طَلَاقَـةِ وَجْهِـهِ كَـالرُّمْحِ دَلَّ عَلَـى القَسَـاوَةِ لِيْنُـهُ

وَوَرَاءِ يَقْظَتِـــهِ أَنَـــاةُ مُجَـــرِّبٍ للهِ سَـــطْوَةُ بَأْسِـــهِ وَسُـــكُونُهُ

هَـذَا الَّـذِي فـي الله صَـحَّ جِهَـادُهُ هَـذَا الَّـذِي بِـالله صَـحَّ يَقِينُـهُ

هَـذَا الَّـذِي بَخَـلَ الزَّمَـانُ بِمِثْلِـهِ وَالمُشْـمَخِرُّ إِلـى العُلَـى عِرْنِينُـهُ

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ١٥٣.

إِنَّ حَــلَّ فَالشَّـــرَفُ التَّلِيــدُ أَنِيْسُـــهُ أَوْ سَـارَ فَـالظَّفَرُ الطَّرِيـفُ قَرِينُــهُ (١)

فالشِّاعر يشيد بمواقف نور الدِّين وجهاده، ويصوِّر شجاعته وإقدامه، ويقظته وحزمه، وما اتَّسم به من صفات قياديَّة حازمة في مواجهة خصومه ؛ ممَّا جعله قائداً نادراً في عصره. وقد عبَّر الشَّاعر عن تلك المعاني بألفاظ سهلة مألوفة، وفَّق في صوغها في عبارات متآلفة متناسقة، تتَّسم بالتَّرابط، وقد اعتمد الشَّاعر في إبراز فكرته على الأسلوب الخبري، إذ الموقف يتطلَّب منه الميل إلى الجانب الإخباري ليرسم صورة واضحة لقائده نور الدِّين، وما يتحلَّى به من فروسيَّةٍ وشجاعة، وحزمٍ وبسالة، ومن تلك العبارات الطَّويلة : (هذا الَّذي في الله صحَّ جهاده، هذا الَّذي بالله صحَّ يقينه، هذا الَّذي بخل الزَّمان بمثله، إن حلَّ فالشَّرف التَّليد أنيسه، أو سار فالظَّفر الطَّريف قرينه) فهي تصوِّر الجانب البطولي الَّذي عُرف به ذلك البطل المسلم، كما تستلهم تضحياته ودوره في الجهاد.

** ** ** **

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ٥٧.

ثانياً : الصِّبغ البديعي :

لقي فنُّ البديع مكانةً عاليةً لدى شعراء عصر الحروب الصَّليبيَّة، فقد احتفوا به في أشعارهم، ورأوا فيه صورةً تجسِّد إبداعهم ومهاراتهم الأدبيَّة، وقد تفاوتوا في استخدامه بين معتدل في تزيين أشعاره به، وبين مكثر في تناوله، وكان ذلك محلَّ نظر كثيرٍ من البلاغيِّين والنُّقَّاد الَّذين أفصحوا عن قيمة هذا الفنِّ، ولكنَّهم ذهبوا إلى أهمِّيَّة الاعتدال في الأخذ من تلك المحسِّنات البديعيَّة، وعدم الاكثار منها ؛ وذلك كي يبقى أثرها جميلاً، وتلقى قبولاً واستحساناً [1].

والنَّاظر إلى استخدام الصِّبغ البديعي في الشِّعر الَّذي صوَّر البطولة في عصر الحروب الصَّليبيَّة يجد أن الشُّعراء قد مالوا إلى بعض الألوان البديعيَّة كالطِّباق، والجناس، والتَّصريع، والتَّرصيع.

ومن نماذج ذلك ما يظهر في شعر العماد الأصبهاني، حيث يصف جهود نور الدِّين ويصوِّر انتصاراته، فيقول :

لله دَرُّكَ (نُــورَ الــدِّينِ) مِــنْ مَلِــكٍ بِــالعَزْمِ مُفْتَــتِحٍ بِالنَّصْــرِ مُخْتَــتِمِ

(١) انظر : كفاية الطَّالب في نقد كلام الشَّاعر والكاتب لضياء الدِّين بن الأثير ص (٤٠)، والطِّراز للعلوي ٣ /٢١ والبلاغة العربيَّة في ثوبها الجديد (علم البديع) د. بكري شيخ أمين ٣ / ٢٤ – ٢٥.

آثَـارُ عَزْمِـكَ فـي الإِسْـلَامِ وَاضِـحَةٌ وَسِـرُّهُ لَـكَ بَـادٍ غَيْـرُ مُكْتَـتِمِ

بِمَـا مِـنَ العَـدْلِ وَالإِحْسَـانِ تَنْشُـرُهُ تَخَـافُ رَبَّـكَ خَـوْفَ المُـذْنِبِ الأَثِـمِ (١)

فالشَّاعر هنا يبيِّن آثار الانتصارات والفتوح، الَّتي سعى نور الدِّين جاهداً لتحقيقها من أجل نصرة الإسلام، والدِّفاع عن بلاد المسلمين، وقد لجأ في تعبيره إلى (الطِّباق)، فطابق بين (مفتتح ومختتم) وبين (باد ومكتتم) كما اعتمد على (الجناس) في البيت الثَّالث حيث جانس بين (تخاف وخوف).

ويركِّز ابن منير الطَّرابلسي على الطِّباق في قصيدته الَّتي ألقاها في شهر رمضان في مجلس نور الدِّين محمود، يقول :

فَـدَاكَ مَـنْ صَـامَ وَمَـنْ أَفْطَـرَا وَمَـنْ سَـعَى سَـعْيَكَ أَوْ قَصَّـرَا

وَمَـا الـوَرَى أَهْـلاً فَتُفْـدَى بِهِـمْ وَهَـلْ يُـوَازِي عَـرَضٌ جَـوْهَرَا ؟

يَـا نُـورَ دِيـنِ الله : كَـمْ حَـادِثٍ دَجَـا، وأَسْـفَرْتَ لَـهُ فَانْشَـرَى

أَبْقَـاكَ لِلـدُّنْيَا وَلِلـدِّينِ مَـنْ خَـلاَّكَ فـي لَيْلِهِمَـا نَيِّـرَا(٢)

(١) ديوان العماد الأصبهاني ص (٣٨٠).

(٢) ديوان ابن منير الطَّرابلسي ص (٢٠٦ – ٢٠٧).

فالشَّاعر يفصح عن مآثر نور الدِّين الَّتي نالت منزلةً عاليةً في قلوب المسلمين، ويبيِّن أنه لو صحَّ الفداء لفدته الأرواح الَّتي صامت وأفطرت لله تعالى ابتغاء رضوانه. وقد عمد ابن منير الطَّرابلسي إلى (الطِّباق) في أكثر من موضع في هذه الأبيات، فقد طابق بين (صام وأفطرا) وبين (سعى وقصَّرا) وبين (عرض وجوهرا) وبين (دجا وأسفرت) وبين (الدُّنيا والدِّين) في البيت الأخير، وأضفى الطِّباق على الأبيات حسناً وبهاءً، وأكسب المعنى عمقاً وتأثيراً.

ويستخدم العماد الأصبهاني (الطِّباق) في حديثه عن فتوحات نور الدِّين، فيقول :

أُعْطِيتَ هَذَا الفَتْحَ مُفْتَاحَاً، بِهِ ... في المُلْكِ يُفْتَحُ كُلُّ بَابٍ مُرْتَجْ(١)
مُرْتَجْ(١)

فقد طابق في الشَّطر الثَّاني بين (يفتح ومُرْتَج).

ومن المحسِّنات البديعيَّة الَّتي استخدمها ابن منير الطَّرابلسي (الجناس) وهو تشابه اللَّفظين في الشَّكل واختلافهما في المعنى[٢]، حيث ظهر ذلك في أبياته الَّتي يقول فيها :

أَيَا نُورَ دِينٍ خَبَا نُورُهُ ... وَمُذْ شَاعَ عَدْلُكَ فِيهِ اتَّقَدْ

رَآكَ الصَّلِيبُ صَلِيبَ القَنَا ... ةِ أَمِينَ العِثَارِ، مَتِينَ العَمَدْ

(١) ديوان العماد الأصبهاني ص (١٠٢).

(٢) انظر : البديع لابن المعتز ص (٥٥)، مفتاح العلوم للسَّكَّاكي ص (٤٢٩)، خزانة الأدب الأدب للحموي ١ / ٥٥.

وَيَـــــومَ العُرَيْمَـــــةِ أَقْبَلْـــــتَهُمْ عُرَامـــاً يُثَعْلِـــبُ فِيـــهِ الأَسَـــدْ

حَبَسْـــتَ مَلِـــيكَهُمُ فـــي الصِّـــفَادِ وَعَفْـــوُكَ عَنْـــهُ أَعَـــمُّ الصَّـــفَدْ

وَقَبْـــلَ أَزَرْتَهُـــمُ فـــي (الرُّهَـــا) مَـوَازِقَ مَـزَّقْنَ جُـرْدَ الجُـرَدْ (١)

حيث يشير في أبياته إلى دور نور الدِّين محمود في مواجهة الصَّليبيِّين، وتحقيق الانتصارات المتواليَّة، وقد استخدم الجناس في أبياته تلك، حيث جانس في البيت الأول بين (نور ونوره) وجانس في البيت الثَّاني بين (الصَّليب وصليب) وفي البيت الثَّالثَّ بين (العُريمة وعراماً) وفي البيت الرَّابع بين (موازق ومزَّقن) وبين (جُرد والجُرد).

وقد استخدم العماد الأصبهاني أسماء ملوك الصَّليبيِّين في الجناس، ومن ذلك ما جاء في قصيدته (النُّونيَّة) الَّتي خاطب فيها نور الدِّين في إحدى انتصاراته، فقال :

قَمَّصْـتَ قَوْمَصَـهُمْ(٢) رِدَاءً مِـنْ رَدىً وَقَرَنْتَ رَأْسَ بِرَنْسِهِمْ بِسِنَانِ(٣) بِسِـــــــــــــــــنَانِ(٣)

(١) ديوان ابن منير الطَّرابلسي ص (١٨٨).
(٢) القَوْمَصُ : هو قائد الصَّليبيِّين. والبِرْنَسُ : هو الملك عند الصَّليبيِّين.
(٣) ديوان العماد الأصبهاني ص (٤١١).

ويلحظ هنا إلحاح العماد في طلب الجناس واستحضاره قسراً على حساب المعنى، وذلك حين جانس بين لفظتي (قمَّصت وقومصهم) وبين لفظتي (رداءً وردى)، وبين (رأس وبرنس).

ويستخدم ابن منير الطَّرابلسي (الجناس) في أبياته الَّتي يقول فيها :

المَجْدُ مَا ادَّرَعَتْ ثَرَاكَ هِضَابُهُ وتثَقَّفَتْكَ شُعُوبُهُ وَشِعَابُهُ

مَلِكٌ تَكَنَّفَ دِينَ أَحْمَدَ كُنْهُهُ فَأَضَاءَ نَيِّرهُ، وَصَابَ شِهَابُهُ

عَقَدَ اللِّوَاءَ، وسَارَ يَقْدُمُهُ، وَمَا حَلَّتْ عُقُودَ تَمِيْمِهَا أَتْرَابُهُ

أُسْدٌ، فَرَائِسُهُ الفَوَارِسُ، والظُّبَا أَظْفَارُهُ، والسَّمْهَرِيَّةُ غَابُهُ

طَبعَ الحَدِيد فَكَانَ مِنْهُ جِنَانُهُ وَسِنَانُهُ، وَإِهَابُهُ، وَثِيَابُهُ(١)

فهو يخاطب نور الدِّين مشيداً بدوره في رفع راية الجهاد، والتَّصدِّي لجحافل الصَّليبيِّين، وقد لجأ إلى الجناس في التَّعبير عن معناه، حيث جانس في البيت الأول بين (شعوبه وشعابه) وفي البيت الثَّالث بين (عَقَدَ وعُقود) وفي البيت الرَّابع بين (فرائسه والفوارس) وفي البيت الخامس بين (جنانه وسنانه) وبين (إهابه وثيابه).

ومن الألوان البديعيَّة الَّتي عمد إليها بعض الشُّعراء (التَّصريع) وهو : (جعل العروض مقفَّاةً تقفية الضَّرب [1]).

(١) ديوان ابن منير الطَّرابلسي ص (٢٤٧).

ومثال ذلك قول ابن القيسراني في (بائيَّته) الَّتي عارض بها (بائيَّة) أبي تمَّام في فتح عمُّوريَّة، حيث افتتح قصيدته بقوله :

هَذِي العَزَائِمُ، لَا مَا تَدَّعِي القُضُبُ وَذِي المَكَارِمُ، لَا مَا قَالَتِ الكُتُبُ(٢)

فقد صرَّع ابن القيسراني مطلع قصيدته بأن جعل العروض مساويةً للضَّرب في الوزن والرَّوي، وهما (القضب) و (الكتب). ووقوع ذلك التَّصريع في مطلع القصيدة ممَّا يحسن ويستجاد لدى كثير من النُّقَّاد [٣].

وممَّا جاء في ذلك الشِّعر من التَّصريع قول ابن منير الطَّرابلسي :

أَسْنَى المَمَالِكِ مَا أَظَلَّتَ مَنَارَهَا وَجَعَلْتَ مُرْهَفَةَ الشِّفَارِ دسَارَهَا

فقد جاءت العروض (منارها) موافقة للضَّرب (دسارها) في الوزن والرَّوي، وهو ما أضفى على المطلع جرساً إيقاعيَّاً جميلاً.

أمَّا العماد الأصبهاني فقد استخدم (التَّرصيع)، وهو يعني عند (البلاغيِّين) توازن الألفاظ في الشَّطرين بحيث تقابل كل لفظة أُختها في الوزن [١]. يقول العماد في قصيدته (النُّونيَّة) مخاطباً نور الدِّين محمود :

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص (٥٥١).
(٢) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ١٥٢.
(٣) انظر : سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص (١٨٩).

عُقِــدَتْ بِنَصْــــرِكَ رَايَــةُ الإِيْمَــانِ وَبَدَتْ لِعَصْـرِكَ آيَـةُ الإِحْسَـانِ(٢)

فالمتأمِّل بين شطري البيت يجد أن ألفاظ الشَّطر الأوَّل تقابل ألفاظ الشَّطر الثَّاني في الوزن، وهو ما أعطى البيت نغمةً إيقاعيَّةً تطرب لها الأُذن، وتتشوَّق إليها النَّفس.

** ** ** **

(١) انظر : البديع في البديع لأُسامة بن منقذ ص (١٧١)، تحرير التَّحبير لابن أبي الإصبع ص (٣٠٢)، شرح الكافية البديعيَّة لصفيِّ الدِّين الحلِّي ص (١٩٠).

(٢) ديوان العماد الأصبهاني ص (٤١٠).

ثالثاً : الصُّورة الشِّعريَّة:

تعدُّ الصُّورة الشِّعريَّة من أهم العناصر الَّتي يكتسب بها النَّصُّ الشِّعري صفته الفنِّيَّة، وذلك لما تحدثه في نفس المتلقِّي من أثر فاعل، فالشَّاعر بواسطة الصُّورة يشكِّل أحاسيسه وأفكاره ومشاعره في شكل فنِّيٍّ محسوس، (وهي أكبر عون له على تقدير الوحدة الشِّعريَّة، أو على كشف المعاني العميقة الَّتي ترمز إليها القصيدة)(١).

ولا شكَّ أنَّ إثراء الخيال، وقدرته على ترجمة المشاعر الَّتي تسكن نفس الشَّاعر يعطي بعداً واسعاً في النَّصِّ الشِّعري، فالخيال له دور بارز في تشكيل الصُّورة الشِّعريَّة، فهو (أساس الصُّورة الأدبيَّة مهما كانت درجته الفنِّيَّة، فإليه يُرجع تحقيق الاندماج بين الشُّعور واللا شعور، وتحقيق التَّوافق بين الوحدة والتَّنوع)(٢).

والمتأمِّل في الشِّعر الَّذي يصوِّر البطولة في عصر الحروب الصَّليبيَّة يجد أنَّ الفنون البيانيَّة في مقدِّمة تلك الصُّور الَّتي شكَّلها الشُّعراء في قصائدهم، لإبراز الفكرة بشكل جذَّاب تهفو له النَّفس، وتأنس إليه، ومن ذلك ما يظهر في قول ابن قسيم الحموي :

تَبْدُو الشَّجَاعَةُ مِنْ طَلَاقَةِ وَجْهِهِ ... كَالرُّمْحِ دَلَّ عَلَى القَسَاوَةِ لِيْنُهُ(٣)
لِيْنُـــهُ(٣)

(١) فنُّ الشِّعر، د. إحسان عبَّاس ص (٢٣٠).
(٢) الصُّورة في شعر بشار بن برد، د. عبد الفَّتاح نافع ص (٦٧).
(٣) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ٥٧.

فهو يصف شجاعة وإقدام نور الدِّين محمود، إذ هو مع تلك الشَّجاعة يمتاز بطلاقة الوجه، وجمال المحيَّا، وقد وضع الشَّاعر هذه الهيئة أمام هيئةٍ أخرى تشابهها وهي صورة الرُّمح الَّذي يمثِّل القوَّة في ميدان القتال ومع قساوته المعهودة عنه فهو ليِّن يتعطَّف في يد فارسه قبل أن ينطلق إلى العدو لينهش جسده، وهذا التَّشبيه أعطى المعنى عمقاً وجمالاً، ورسَّخه بصورةٍ محبَّبةٍ إلى النَّفس.

أمَّا ابن القيسراني فإنَّه يشيد بجهود نور الدِّين وآثاره الحسنة، فيقول :

ضَـحِكَتْ تَبَاشِـيرُ الصَّـبَاحِ كَأَنَّهَـا قَسَـمَاتُ نُـورِ الـدِّينِ خَيْـرِ النَّـاسِ

المُشْـتَرِي العُقْبَـى بَـأَنْفَسِ قِيمَـةٍ وَالبَـائِعُ الـدُّنْيَا بِغَيْـرِ مُكَـاسِ

وَسَـرَى دُعَـاءُ الخَلْـقِ يَحْـرُسُ نَفْسَـهُ إنَّ الـدُّعَاءَ يُعَـدُّ فـي الحُـرَّاسِ (١) (١)

ففي البيت الأوَّل في قوله : (ضحكت تباشير الصَّباح كأنَّها قسمات نور الدِّين) نلحظ تشبيهاً مقلوباً، فليست قسمات نور الدِّين كأنَّها تباشير الصَّباح الجميل المفعم بالتفاؤل، وإنَّما المراد عكس ذلك، وهذا التَّشبيه المقلوب يشير في دلالته إلى أنَّ المشبَّه أتمُّ من المشبَّه به وأقوى في المعنى.

وفي الشَّطر الأوَّل كذلك (استعارة) في قوله : (ضحكت تباشير الصَّباح) فتباشير الصَّباح كائن شاخص يحسُّ بما حوله، فيفرح ويحزن، ويضحك ويبتسم، وفي ذلك تشخيص جميل يعبر عن عمق التفاؤل الَّذي قصده الشَّاعر.

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ٤٨.

وفي البيت الثَّالث يشبِّه الشَّاعر الدُّعاء بالحارس الَّذي يحمي الممدوح، حيث (شخَّص) الدُّعاء، وأضفى إليه الحركة والحيويَّة، لتتشكَّل لوحته الفنِّيَّة على النحو الَّذي أراد.

ويصوِّر ابن القيسراني مسير نور الدِّين في جهاده ضدَّ الصَّليبيِّين، وما يتركه من رعب في قلوبهم، فيقول :

إِذَا سَارَ نُورُ الدِّينِ في الجَيْشِ غَازِياً ... فَقُولَا لِلَيْلِ الإِفْكِ قَدْ طَلَعَ الصُّبْحُ

تَرَكْتَ قُلُوبَ الشِّرْكِ تَشْكُو جِرَاحَهَا ... فَلَا زَالتِ الشَّكْوَى، وَلَا انْدَمَلَ الجُرْحُ

صَبَرْتَ فَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَغَبَّةٍ ... فِسِيقَ إِلَيْكَ المُلْكُ يَسْعَى بِهِ النُّجْحُ

فَلَا قَلْبَ إِلَّا قَدْ تَمَلَّكْتَهُ هَوَىً ... وَلَا صَدْرَ إِلَّا قَدْ جَلَاهُ لَكَ النُّصْحُ(١)

فالشاعر يرسم في هذه الأبيات لوحةً فنِّيَّةً عمادها (التَّشخيص) وإضفاء الحركة والحيويَّة إلى المعنويَّات، على نحو ما نرى في البيت الأوَّل، فالخطاب يتَّجه فيه إلى (ليل الإفك) وإشعاره بأن نور الصَّبح قد أشرق، وتهلَّلت أنواره، وفي البيت الثَّاني نلحظ (قلوب الشِّرك) وقد أصابتها الجراح بعمق، وليس هناك من يزيل شكواها أو يضمِّد جراحها، وفي ذلك التفاتةٌ عميقةٌ إلى تواصل الانتصارات وامتداد الفتوح، الَّتي لا مجال فيها للتَّوقُّف، أو الانتظار.

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ١٨٠.

وأمام تلك البشائر والفتوح فإنَّ تلك (القلوب) المتعطِّشة للنَّصر، المفعمة بالفرح قد تملَّكها ذلك الفاتح البطل، فأصبحت شغوفةً به تعشقه وتهواه، لأنَّه أروى غليلها، وحقق آمالها وتطلُّعاتها.

ومن تلك المفاخر الَّتي عرض لها الشُّعراء ما تحقَّق في فتح بعض الحصون والقلاع ببلاد الشَّام، وطرد الصَّليبيِّين منها، فقد خاطب ابن القيسراني نور الدِّين محمود قائلاً :

هَذِي العَزَائِمُ، لَا مَا تَدَّعِي القُضُبُ ... وَذِي المَكَارِمُ، لَا مَا قَالَتِ الكُتُبُ

وَهَذِهِ الهِمَمُ اللَّاتِي إِذَا خَطَبَتْ ... تَعَثَّرَتْ خَلْفَهَا الأَشْعَارُ وَالخُطَبُ

صَافَحْتُ يَا ابْنَ عِمَادِ الدِّينِ ذِرْوَتَهَا ... بِرَاحَةٍ لِلْمَسَاعِي دُوْنَهَا التَّعَبُ

مَا زَالَ جِدُّكَ يَبْنِي كُلَّ شَاهِقَةٍ ... حَتَّى بَنَى قُبَّةً أَوْتَادُهَا الشُّهُبُ

غَضِبْتَ لِلدِّينِ حَتَّى لَمْ يَفُتْكَ رِضىً ... وَكَانَ دِينُ الهُدَى مَرْضَاتُهُ الغَضَبُ(١)

فالشَّاعر وهو يشيد بتلك الفتوح، ويبتهج بتحقيقها نراه يرسم لوحةً شعريَّة جماليَّة يعمد فيها إلى (التَّشخيص)، وإضفاء الحركة والحيويَّة إلى كل ما يحيط بالنَّصر، ويتَّصل به من قريب أو بعيد، (فالهمم) تبرز بوضوح، (والمكارم) تبدو للعيان، بل إنَّ (الهمم) متى أفصحت عمَّا بداخلها و (خطبت) خطبتها العصماء

(١) الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين ١ / ١٥٢ – ١٥٣.

فإنَّه لا يضاهيها شعرٌ ولا نثرٌ، فهي أقوى وأعمق وأشدُّ تأثيراً من ذلك. وما أجمل أن (يصافح) نور الدِّين بن عماد الدِّين ذروة تلك (الهمم) العالية، فيمدُّ لها كفَّاً، فتبادله الشُّعور وتمدُّ له (كفَّاً) فتحيِّيه على ما قدَّم، وتشكر له ما أنجز. كذا الحال مع (الجِدِّ) الَّذي بنى به نور الدِّين (شاهقةً) تطاول أعناق السَّماء، وفي ذلك إشارة إلى الفتوح والانتصارات الَّتي تحقَّقت للمسلمين. مشيراً ابن القيسراني إلى تلك (الغَضْبَة) الَّتي أعلنها نور الدِّين من أجل الدِّين ولنصرة الإسلام بعد تلك النَّكسات والهزائم الَّتي حدثت في بداية الحروب الصَّليبيَّة، وقد كان (دين الهدى) مرضاته، وسعادته، وفرحته تكمن في تلك (الغَضْبَة) فقد فرح أن غضب نور الدِّين فتحقَّق له ما يرجو من النَّصر، والظَّفر، والفتوحات.

والصُّورة الشِّعريَّة في الأبيات تموج بالحركة والحيويَّة، وهي لوحةٌ فنِّيَّةٌ جميلة أبدع الشَّاعر في رسمها معتمداً على (التَّشخيص) الَّذي ألقى بظلاله على الفكرة، وأخرجها في صورة بديعة.

ويستلهم ابن منير الطَّرابلسي آثار تلك الفتوحات الَّتي تحقَّقت للمسلمين في عصر نور الدِّين، فيقول :

أَقْوَى الضَّلَالُ، وَ(أَقْفَرَتْ) عَرَصَاتُهُ وَعَلَا الهُدَى، وَ(تَبَلَّجَتْ) قَسَمَاتُهُ

وَانْتَاشَ دِينَ مُحَمَّدٍ (مَحْمُودُهُ) مِنْ بَعْدِ مَا غَلَبَتْ دَماً (عَبَرَاتُهُ)

رَدَّتْ عَلَى الإِسْلَامِ عَصْرَ (شَبَابِهِ) وَثَبَاتُهُ مِنْ دُونِهِ وَثَبَاتُهُ

أَرْسَـــى قَوَاعِـــدَهُ، وَمَـــدَّ عِمَـــادَهُ صُعُدَاً، وَشَيَّدَ سَوْرَه سَوْرَاتُه (١) (١)

فالشَّاعر يذكر ما حلَّ بالكفر بعد سلسلة من الفتوح والانتصارات الَّتي تهيأت للمسلمين، فقد (أقفرت) ساحاته وتخلَّى أهلها عنها، في حين علا (دين الهدى) وارتقى عالياً، وأشرقت (أنواره) فغدا ينير الكون، وذلك بعد أن نصره نور الدِّين محمود، وأخذ بحقِّه من خصومه المعتدين، الَّذي اعتدوا عليه دون سبب يذكر، بل لقد ردَّ عليه عصر (الشَّباب)، فكساه ثوباً قشيباً، ومنحه النَّضارة والبهجة، وأعاد إليه الفرحة والأُنس، وصرف عنه الظُّلم والاستبداد، فعاد متوهِّجاً يحمل للنَّاس الخير، والمحبَّة، والعدل، والحياة الكريمة.

وقد رسم الشَّاعر في أبياته لوحة شعريَّة جميلة تمتلئ بالحيويَّة والحركة، فقد امتطى صهوة (التَّشخيص)، وذهب يملأ المعنويَّات بكلِّ معاني الحيويَّة والحركة، والتَّعبير عن الذَّات، وهو ما ألقى بظلاله الوارفة على الفكرة، فأكسبها بُعداً جماليَّاً.

** ** ** **

(١) ديوان ابن منير الطَّرابلسي ص (٢٠٨).

الخاتمة

وبعد هذه الرِّحلة مع صورة البطل المسلم في شعر الحروب الصَّليبيَّة، وما سطَّره الشُّعراء في وصفه من مظاهر الشَّجاعة والتَّضحية والبسالة، وما خلَّدوه عنه من هدف سام يسعى إلى نصرة الإسلام، والدِّفاع عنه، واسترداد البلاد المغتصبة الَّتي احتلَّها الغزاة الصَّليبيُّون.

كما صوَّر الشِّعر ذلك البطل المسلم كقائد عادل أحبَّه رعاياه وشعبه، وتعلقت قلوبهم به ؛ لما رأوا فيه من قيم نبيلة كالإحسان، والمروءة، والشَّهامة، ومساعدة الضَّعيف، وإغاثة الملهوف، وبسط الأمن والأمان.

حيث عرض البحث في (التَّمهيد) لحقيقة الحروب الصَّليبيَّة، وما أظهرته من أهداف في غزو البلاد الإسلاميَّة، واحتلال مقدَّساتها.

وقد تكوَّن هيكل البحث من مبحثين أساسيين تقوم عليهما الدِّراسة، أحدهما: يختصُّ بدراسة ملامح البطولة في الشِّعر الَّذي صوَّر نور الدِّين محمود كبطل من أبطال الحروب الصَّليبيَّة، وما اقتضته تلك الملامح من صور الشَّجاعة والبسالة، والنُّهوض لنصرة الإسلام وخدمة قضاياه، والدِّفاع عن أراضيه ومقدَّساته.

أمَّا المبحث الثَّاني، فقد تناول الظَّواهر الفنِّيَّة في ذلك الشِّعر، ومن ذلك (الألفاظ) وما امتازت به من (الجزالة والمتانة) لاتِّصالها بموضوع الجهاد، ووصف المعارك، وتمجيد أبطالها وفرسانها.

كما تناولت الدِّراسة (الصِّبغ البديعي) وما شهده ذلك الشِّعر من احتفاء بالمحسِّنات البديعيَّة، وإقبال عليها، حيث غدت من أهم المقاييس الفنِّيَّة في شعر الحروب الصَّليبيَّة، ومن أهم الألوان البديعيَّة الَّتي تناولوها (الطِّباق) و (الجناس) و (التَّصريع) و (التَّرصيع).

كما عرض البحث (للصُّورة الشِّعريَّة)، وأبان عن اعتماد الشُّعراء على التَّصوير في رسم لوحاتهم الفنِّيَّة، واستثمار الخيال في تصوير أفكارهم، وإبرازها بطريقة فنِّيَّة جذَّابة.

وبعد : فأحسب أنَّ هذه الدِّراسة قد أبانت عن موضوع أدبيٍّ طريف في شعر الحروب الصَّليبيَّة، ورسم صورة البطل المسلم في ذلك الشِّعر، وما تضمَّنته من قيم جماليَّةٍ موضوعيَّة وفنِّيَّة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

** ** ** **

فهرس المصادر والمراجع

١. **أسرار البلاغة في علم البيان،** عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة للطِّباعة والنَّشر، بيروت ١٣٩٨هـ، تعليق : محمد رشيد رضا.

٢. **أسس النَّقد الأدبي عند العرب،** د. أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطِّباعة والنَّشر، القاهرة ١٩٧٩م.

٣. **الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)** دار الكتاب اللُّبناني، بيروت، الطَّبعة الخامسة ١٤٠٣هـ، تحقيق : د. محمد عبد المنعم خفاجي.

٤. **البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدِّمشقي،** دار الرَّيَّان للتُّراث، القاهرة، الطَّبعة الأولى ١٤٠٨هـ، تحقيق : أحمد أبو ملحم وزملائه.

٥. **البديع، لابن المعتز (ت ٢٩٦هـ)،** مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٣٦٤هـ، شرح وتعليق : د. محمد عبد المنعم خفاجي.

٦. **البديع في البديع في نقد الشِّعر،** لأُسامة بن منقذ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى ١٤٠٧هـ، تحقيق : علي مهنَّا.

٧. **البلاغة العربيَّة في ثوبها الجديد (علم البديع)**، د. بكري شيخ أمين، دار الكتب للملايين بيروت، الطَّبعة الأولى ١٩٨٧م.

٨. **التَّاريخ الباهر في الدَّولة الأتابكيَّة بالموصل**، لعزِّ الدِّين ابن الأثير، دار الكتب الحديثة، القاهرة، بدون تاريخ، تحقيق : عبد القادر طليمات.

٩. **تاريخ الوطن العربي والغزو الصَّليبي**، د. خاشع المعاضيدي وزميليه، مطبعة دار الكتب للطِّباعة والنَّشر، جامعة الموصل ١٩٨١م.

١٠. **تحرير التَّحبير في صناعة الشِّعر والنَّثر وبيان إعجاز القرآن**، لابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ)، لجنة إحياء التُّراث الإسلامي، القاهرة ١٣٨٣هـ، تحقيق : حفني شرف.

١١. **ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب**، للمرتضى الزَّبيدي، مطبعة التَّرقِّي، دمشق، تحقيق : د. صلاح الدِّين المنجد.

١٢. **الجهاد الإسلامي ضدّ الصَّليبيِّين في العصر الأيُّوبي**، د. فايد عاشور، دار الاعتصام للطَّبع والنَّشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

١٣. **الجهاد والتَّجديد في القرن السَّادس الهجري ــ عهد نور الدِّين محمود وصلاح الدين ـ** د. محمَّد حامد النَّاصر، مكتبة الكوثر للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض، الطَّبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٤. **الحركة الصَّليبيَّة ـ صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ـــ،** د. سعيد عاشور، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، الطَّبعة الثَّانية ١٩٧١م.

١٥. **الحروب الصَّليبيَّة أسبابها ـ حملاتها ـ نتائجها،** لسيِّد علي الحريري، مؤسسَّة دار الكتاب الحديث، بيروت، الطَّبعة الأولى ١٩٨٨م، تحقيق : د. عصام محمد شبارو.

١٦. **الحياة الأدبيَّة في عصر الحروب الصَّليبيَّة بمصر والشَّام،** د. أحمد أحمد بدوي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٩م.

١٧. **خريدة القصر وجريدة العصر ـــ قسم شعراء الشَّام ـــ،** للعماد الأصبهاني، مطبوعات المجمَّع العربي بدمشق ١٣٧٥هـ، تحقيق : د. شكري فيصل.

١٨. **خزانة الأدب وغاية الأرب،** لتقيِّ الدِّين أبي بكر المعروف بابن حجَّة الحموي، دار الهلال، بيروت، الطَّبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٩. **ديوان ابن منير الطَّرابلسي،** دار الجيل، بيروت، الطَّبعة الأولى ١٩٨٦م، جمع وتقديم : د. عمر تدمري.

٢٠. **ديوان أبي الطَّيِّب المتنبِّي بشرح أبي البقاء العكبري،** دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ضبطه ووضع فهارسه : مصطفى السَّقَّا وزميلاه.

٢١. **ديوان الأبيوردي،** أبي المظفَّر محمد بن أحمد بن إسحاق (ت ٥٠٧هـ)، مؤسَّسة الرِّسالة للطِّباعة والنَّشر، بيروت، الطَّبعة الثَّانية ١٩٨٧م.

٢٢. **ديوان عماد الدِّين الأصبهاني،** مطبوعات جامعة الموصل ١٤٠٤هـ، تحقيق : د. ناظم رشيد.

٢٣. **الرَّوضتين في أخبار الدَّولتين النُّوريَّة والصَّلاحيَّة،** لأبي شامة المقدسي، المؤسَّسة المصريَّة العامَّة للتَّأليف والتَّرجمة والنَّشر، القاهرة ١٩٦٢م، تحقيق : د. محمد حلمي أحمد.

٢٤. **سر الفصاحة،** لابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى ١٩٨٢م.

٢٥. **السُّلوك لمعرفة دول الملوك،** لأحمد بن علي المقريزي، مطبعة لجنة التَّأليف، والتَّرجمة النَّشر، بيروت، الطَّبعة الثَّانية ١٤٠٤هـ، تحقيق : عبد العزيز الميمني.

٢٦. **سير أعلام النُّبلاء،** لشمس الدِّين محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي (ت ٧٤٨هـ)، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، الطَّبعة الأولى ١٤٠١هـ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرون.

٢٧. **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب،** لعبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، بدون تاريخ.

٢٨. **شرح الكافية البديعيَّة في علوم البلاغة ومحاسن البديع**، لصفيِّ الدِّين الحلِّي، دار صادر، بيروت، الطَّبعة الثَّانية ١٤١٢هـ،تحقيق : د. نسيب نشاوي.

٢٩. **شعر الجهاد في الحروب الصَّليبيَّة في بلاد الشَّام**، د. محمد علي الهرفي، دار الإصلاح للطَّبع والنَّشر، القاهرة ١٩٧٩م.

٣٠. **شفاء القلوب في مناقب بني أيُّوب**، لأحمد بن إبراهيم الحنبلي (٨٧٦هـ)، دار الحرِّيَّة للطباعة والنَّشر، بغداد ١٩٧٨م، تحقيق : د. ناظم رشيد.

٣١. **الصُّورة في شعر بشار بن برد**، د. عبد الفَّتاح نافع، دار الفكر للنَّشر التَّوزيع عمان، ١٩٨٣م

٣٢. **الطِّراز المتضمِّن للأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ليحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت ١٩٨٠م.

٣٣. **فنُّ الشِّعر**، د. إحسان عبَّاس، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٥٩م.

٣٤. **الكامل في التَّاريخ**، لعزِّ الدِّين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى ١٤٠٧هـ، تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي.

٣٥. **كفاية الطَّالب في نقد كلام الشَّاعر والكاتب،** لضياء الدِّين بن الأثير، مطبعة دار الكتب للطِّباعة والنَّشر بجامعة الموصل ١٩٨٢م، تحقيق : د. نوري القيسي وزميله.

٣٦. **المثل السَّائر في أدب الكاتب والشَّاعر،** لضياء الدِّين بن الأثير، دار نهضة مصر، للطِّباعة والنَّشر ١٩٨٣م، تعليق : د. أحمد الحوفي وزميله.

٣٧. **معجم الأدباء،** لياقوت الحموي، دار الفكر للطَّباعة والنَّشر، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

٣٨. **معجم البلدان،** لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت ١٣٧٤هـ.

٣٩. **مفتاح العلوم،** للسَّكَّاكي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الثَّانية ١٤٠٧هـ.

٤٠. **مفرِّج الكروب في أخبار بني أيُّوب،** لجمال الدِّين ابن واصل، المطبعة الأميريَّة، القاهرة ١٩٥٧م، تحقيق : جمال الدِّين الشَّيَّال.

٤١. **مقومات حركة الجهاد ضدَّ الصَّليبيِّين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدِّين محمود،** د. عبد الله سعيد الغامدي، سلسلة بحوث الدِّراسات الإسلاميَّة بجامعة أمِّ القرى، مكة المكرمة، الطَّبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٤٢. **النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر- والقاهرة،** لابن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ)، نسخة مصوَّرة عن طبعة دار الكتب بمصر، بدون تاريخ.

النوادر السُّلطانيَّة والمحاسن اليوسفيَّة، لبهاء الدِّين ابن شدَّاد، الدَّار المصريَّة للتَّأليف والتَّرجمة، الطَّبعة الأولى ١٩٦٤م، تحقيق : د. جمال الدِّين الشَّيَّال.

٤٣. **نور الدِّين محمود ـ سيرة مجاهد صادق ـ** د. حسين مؤنس، الشَّركة العربيَّة للطِّباعة والنَّشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٩م.

٤٤. **الوافي بالوفيات،** لصلاح الدِّين خليل أيبك الصَّفدي، دار النَّشر : فرانز شتاينز بفيسبادن ١٩٧١م.

٤٥. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان،** للأبي العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن أبي بكر بن خلِّكان (ت ٧٨١هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، تحقيق : د. إحسان عبَّاس.

** ** ** **

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع	رقم الصَّفحة
المقدِّمة.....	٣٣٣
التَّمهيد : حقيقة الحروب الصَّليبيَّة.....	٣٣٥
نور الدِّين محمود.....	٣٣٩
المبحث الأوَّل : ملامح البطولة في الشِّعر.....	٣٤٥
أوَّلاً : الشَّجاعة والإقدام.....	٣٤٦
ثانياً : نصرة الإسلام.....	٣٥٧
ثالثاً : العدل والإحسان.....	٣٦٤
المبحث الثَّاني : الظَّواهر الفنِّيَّة في الشِّعر.....	٣٧٠
أوَّلاً : الألفاظ والتراكيب.....	٣٧١
ثانياً : الصِّبغ البديعي.....	٣٧٧
ثالثاً : الصُّورة الشِّعريَّة.....	٣٨٤
الخاتمة.....	٣٩٠
فهرس المصادر والمراجع.....	٣٩٢
فهرس الموضوعات.....	٣٩٩